سلسلة دراسات قرآنية

﴿ 2 ﴾

الجمع بين القراءتين

(الوحي والكون)

طه جابر العلواني

دار الشروق
٢٠٠٥م

التعريف بالمؤلف

طه جابر العلواني

* من مواليد العراق عام ١٣٥٤هـ - ١٩٣٥م.

* ليسانس من كلية الشريعة والقانون، جامعة الأزهر عام ١٣٧٨هـ - ١٩٥٩م.

* ماجستير كلية الشريعة والقانون، جامعة الأزهر عام ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م.

* دكتوراه أصول الفقه، كلية الشريعة والقانون، جامعة الأزهر ١٣٩٢هـ - ١٩٧٣م.

* عضو مجمع الفقه الإسلامي الدولي بجدة.

* شارك في تأسيس المعهد العالمي للفكر الإسلامي في الولايات المتحدة الأمريكية عام ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.

* رئيس المجلس الفقهي لأمريكا الشمالية.

* رئيس جامعة العلوم الإسلامية والاجتماعية SISS في الولايات المتحدة.

آثاره

١. تحقيق كتاب "المحصول من علم أصول الفقه" لفخر الدين الرازي، ستة مجلدات.

٢. الاجتهاد والتقليد في الإسلام.

٣. أصول الفقه الإسلامي: منهج بحث ومعرفة.

٤. التعددية: أصول ومراجعات بين الاستتباع والإبداع.

٥. الأزمة الفكرية ومناهج التغيير.

٦. أدب الاختلاف في الإسلام.

٧. إسلامية المعرفة بين الأمس واليوم.

٨. حاكمية القرآن.

٩. الجمع بين القرآتين.

١٠. مقدمة في إسلامية المعرفة.

١١. إصلاح الفكر الإسلامي.

قائمة المحتويات

الصفحة

الصفحة

P

مقدمة

الحمد لله رب العالمين. نستغفره ونستيعنه ونستهديه. ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا. ونصلِّي ونسلِّم على سيدنا محمد عبد الله ورسوله، وصفيِّه وخليله، وخيرته من خلقه، وعلى آله الطيبين الطاهرين، وصحابته الأكرمين، ومن تبعه واهتدى بهديه إلى يوم الدين.

أما بعد: فإنَّ القرآن المجيد كلام الله – تبارك وتعالى – أنزله على قلب رسوله الأمين، ونبيِّه الكريم - صلى الله عليه وآله وسلم - ليكون للعالمين نذيراً.

فهو النور المبين، والذكر الحكيم، والكتاب العزيز. يُخرج من الفتن، ويَشفي الصدور، وينقذ من المحن: (يَهْدِي بِهِ اللّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلاَمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنِ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ) (المائدة: ١٦).

فهو الهادي إلى الرشد، والمنقذ من الضلالة، لا تنقضي عجائبه ولا يَخلَقُ من كثرة الرَّد. قال الإمام محمد بن إبراهيم الوزير (ت: ٨٤٠هـ) وهو يؤكد على ضرورة الرجوع إلى القرآن المجيد، وحثَّ رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - على ذلك وتقديمه على كل ما عداه: قال "... فلنقتصر على حديث مشهور يذكر بأمثاله:

وذلك مما رواه السيد الإمام أبو طالب - عليه السلام - في أماليه، والحافظ المحدِّث أبو عيسى الترمذي[1] في جامعه من حديث الحارث بن عبد الله الهمذاني صاحب علي - عليه السلام - قال: مررت في المسجد، فإذا الناس يخوضون في الأحاديث. فدخلت على علّي - عليه السلام - فأخبرته فقال: أوَ قد فعلوها؟ قلت: نعم. قال: أمَا إنِّي سمعت رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - يقول: "ألا إنَّها ستكون فتنة، قلت: فما المخرج منها يا رسول الله؟ قال: "كتاب الله فيه نبأ ما قبلكم، وخبر ما بعدكم، وحكم ما بينكم. هو الفصل ليس بالهزل، من تركه من جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله، وهو حبل الله المتين، وهو الذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، وهو الذي لا تزيغ به الأهواء ولا تلتبس به الألسنة ولا يشبع منه العلماء، ولا يخلق على كثرة الرد، ولا تنقضي عجائبه. هو الذي لم تنته الجن إذ سمعته حتى قالوا: إنا سمعنا قرآناً عجباً يهدي إلى الرشد، فآمنا به. من قال به صدق، ومن عمل به أُجِرَ، ومن حكم به عدل، ومن دعا إليه هُدي إلى صراط مستقيم". انتهى هذا الحديث الجليل. وقد رواه السيد الإمام أبو طالب - عليه السلام - في أماليه بسند آخر من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه[2]. عن رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - بنحوه. ورواه أبو السعادات ابن الأثير في جامع الأصول من طريق ثالثة، من حديث عمر بن الخطاب – رضي الله عنه -[3]. قال: ولم يزل العلماء يتداولونه، فهو مع شهرته في شرط أهل

---

[1] أخرجه الترمذي في جامعه: (٥ / ١٧٢) وفي الطبعات التي رقمت فيها الأحاديث رقمه (٢٩٠٨) في باب "فضل القرآن" وقد استدل به صاحب "إيثار الحق ..." في كتابه "ترجيح أساليب القرآن على أساليب اليونان" ص ١٥ ط. دار الكتب العلمَّية بدون تاريخ.

[2] ماروواه معاذ عن عليّ جاء في (مجمع الزوائد: ٧ / ١٦٤)

[3] والمروي بطريق عمر تجده في "جامع الأصول: الحديث رقم (٦٢٣٢)، لكنه ورد فيه عن عبد الله بن عمر – رضي الله عنهما – وقال المحقق السيد عبد القادر الأرناؤط معلقاً "كذا في الأصل – أي: عن عبد الله بن عمر، وفي المطبوع: عمر بن الخطاب" ولم يرجح. وفيه اختلاف يسير عن رواية الإمام أبي طالب والترمذي، حيث جاء في هذه الرواية قول ابن عمر: "... نزل جبريل – عليه السلام – على عهد رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - فأخبره: أنها ستكون فتن، قال (أي: رسول الله لجبريل): "فما المخرج منها يا جبريل؟" قال: كتاب الله... الخ وقد أخرجه رزين وذكره ابن كثير في فضائل القرآن بمعناه عقب حديث=

=الحارث من حديث عبد الله بن مسعود، وقال (أي: ابن كثير) : رواه أبو عبيد القاسم بن سلام في كتابه "فضائل القرآن" وقال: هذا غريب من هذا الوجه.

وفي سنن الدارمي أورد الحديث في (٥٢٣/٢) برقم (٣٣١٥) عن عبد الله وبدأه بقوله: "إن هذا القرآن مأدبة الله فتعلموا من مأدبته ما استطعتم..." وختمه بقوله: فاتلوه فإن الله يأجركم على تلاوته ...".وأما باللفظ الذي معنا فقد أورده الدارميّ في الحديث رقم (٣٣٣١) و(٣٣٣٢). وقد علق المحققان عليه بقولهما: "رواه الترمذي في كتاب فضائل القرآن، باب (١٤) ما جاء في فضل القرآن، حديث رقم (٢٩٠٦) ١٧٢/٥ -١٧٣. وأحمد في المسند (٩١/١). وأبو داود الطاليسي وأبو بكر الأنباري في كتاب "الرد" له عن الحارث عن علي. كما في التذكرة للقرطبي ص (٤٨) بتحقيقي. قال ابن كثير في فضائل القرآن (ص ١١ -١٢): "لم ينفرد بروايته حمزة بن حبيب الزيات، بل قد رواه محمد بن إسحاق، عن محمد بن كعب القرظي، عن الحارث الأعور، فبرئ حمزة في عهدته، على أنه وإن كان ضعيف الحديث، فإنه إمام في القراءة. والحديث مشهور من رواية الحارث الأعور، وقد تكلموا فيه، بل قد كذبه بعضهم من جهة رأيه واعتقاده (أي: لا من جهة روايته وصدقه)، أما إنه تعمد الكذب في الحديث فلا والله أعلم. وقصارى هذا الحديث أن يكون من كلام أمير المؤمنين علي – رضي الله عنه -، وقد وهم بعضهم في رفعه، وهو كلام حسن صحيح، على أنه قد روى له شاهد عن عبد الله بن مسعود – رضي الله عنه -" أ.هـ. والآية رقم ٢ من سورة الجن.

قلت: وفي بعض الشروح حددت "فتنة الحديث أو الأحاديث" بأنها الافتتان برواية"الأحاديث" أو "السنن" عن تلاوة القرآن المجيد ودوام الرجوع إليه، وبعضهم حملها على الأحاديث والأخبار مطلقاً، ففي كل ذلك انشغال عن القرآن وقد يستفيد القائلون بذلك بأحاديث النهي عن كتابة السنن والتأكيد على عدم الانشغال بغير القرآن. (قال طه) -: ولكن الفرق كبير بين انشغال بأحاديث نبوية مرفوعة صحيحة تأتي على سبيل البيان بأنواعه للقرآن المجيد، وبين مطلق الحديث. وفرق كبير بين انشغال لطلب بيان والانشغال بها على سبيل الاستعاضة عن القرآن، والاكتفاء بها بحجّة اشتمالها أو تضمنها للقرآن أو بأية حجة أخرى.

لقد استقرت المذاهب الفقهية في العهد الرابع من عهود الفقه وركدت حالة الاجتهاد المطلق، وعكف المقلدون على مذاهب الأئمة، والكتابة في مناقبهم، والعمل على ضم الناس إليهم كل إلى مذهبه وإمامه. وجعل بعضهم أقوال أولئك الأئمة مثل نصوص الشارع يدخلها التعارض والترجيح والنسخ وما إليها، ففي عصر الصحابة خاصة – عصر الشيخين – لم يشغلهم شيء عن كتاب الله، ولما انتهت سنة أربعين للهجرة برزت اتجاهات فقهية وبدأ الناس ينشغلون بها.

وحين كان عبد العزيز والد عمر والياً سنة (٨٣ هـ) فكر في جمع السنن، وهو مشروع استكمله ولده عمر بن عبد العزيز، لتكون السنن فقهاً بديلاً عن الفقه الخلافي يرجع الناس إليها لئلا تتفرق بهم السبل الفقهية، ولكن الكثيرين انشغلوا بالسنن عن القرآن المجيد بحجة اشتمالها عليه وارتباطها به، وجعلوا من السنن شواهد لأقوال أئمة الفقه، ثم انشغلوا بفقه الأئمة عن السنن، وصاروا يتداولون أقوال الأئمة ويفرعون عليها حتى بدا وكأن الشريعة هي أقوال هؤلاء الأئمة، بحيث سوغ الكرخيُّ الحنفي لنفسه أن يقول: "كل آية تخالف ما عليه أصحابنا فهي إما مؤولة أو منسوخة".

"أصل: واعلم أن كل حديث يخالف ما عليه أصحابنا فهو إما مؤول أو منسوخ" !! ومهما يقال في تأويل ذلك أو التخفيف منه فإنه قول جرئ يدل على أن التعصُّب للمذاهب قد بلغ مستوى مَرَضِيّاً بحيث صار الأصل=

الحديث متلقَّى بالقبول عند علماء الأصول، فصار صحيح المعنى في مقتضى الإجماع والمنقول والمعقول.وقد أودع الله - تبارك وتعالى – كتابه الشرعة والمنهاج فأنقذنا به من الضلالة، وفتح للعالمين به أبواب رحمته وسبل هدايته. فحمداً له سبحانه على هدايته، والشكر له على نعمائه وعنايته، أغنانا به – جل شأنه - عمّا سواه. وكفانا به عمّا عداه: (أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) (العنكبوت: ٥١).

فنسأله – تعالى – كما أنعم علينا بالقرآن العظيم، والرسول الكريم - صلى الله عليه وآله وسلم - أن يجعل القرآن ربيع قلوبنا، ونور أبصارنا وبصائرنا، وأن يعلمنا منه ما جهلنا، ويذكرنا منه ما نسينا، ويجعله حجة لنا، لا علينا، وقائداً لنا إلى الجنَّة. إنّه سميع مجيب.

الأمر بالقراءتين:

لقد أمر الله تعالى نبّيه - صلى الله عليه وآله وسلم - في مفتتح نزول القرآن وعند بدء الوحي بقراءتين. فقال تعالى: (اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ {١/٩٦} خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ {٢/٩٦} اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ {٣/٩٦} الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ {٤/٩٦} عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ) (العلق: ١ – ٥). وبما أنّ القرآن ليس فيه تكرار ولا ترادف. ولا تحتاج آياته الكريمة إلى استعمال المؤكدات فإنَّ كل كلمة من كلماته – وإن بدت مرادفة أو مماثلة لأختها – فإنها تشتمل على معنى آخر إن لم تدل عليه

=تابعاً للفرع، بل محكوماً به. ولذلك فإن إعادة بناء الأمَّة واستئناف شهودها الحضاريّ وشهادتها على الناس لا يمكن أن تعود إليها ما لم تتجاوز هذه الإصابات الخطيرة، وترد الناس إلى القرآن المجيد مصدراً منشئاً وكاشفاً عن الأحكام وغيرها مما تناوله أو تعلق به فقد أنزله الرحمن الرحيم (تِبْيَاناً لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ) (النحل: ٨٨). وما اختلف فيه أو عليه لابد فيه من الرجوع إلى السنّة النبويّة التي صدرت عن رسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم - (لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُواْ فِيهِ) (النحل: ٦٤).

وعلى هذا فالمعنى الوارد في هذا الحديث أو الأثر معنى صحيح يشهد له صريح الكتاب وصحيح السنَّة. والله أعلم.

بلفظها وبالاستعمال القرآني لها فإنّها تدل عليه في سياقها[1] وسـباقها[2] وموقعهـا. وذلك من دلائل إعجازه الذي تعالى به على كلام المخلوقين. ولذلك فـإن صـيغة الأمر بالقراءة الذي جاء مرتين في هذه الآيـات الخمـس لا تعنـي التوكيـد أو الترادف أو التكرار كما ذهب إلى ذلك بعض المفسرين[3]، بل تدل علـى أمـرين بقراءتين، لكل منهما معناها المراد بهـا، ولكـل منهمـا خصائـصها، ومجالهـا

---

[1] المراد "بالسياق": يعد" السياق" في القرآن هو المنتج للدلالة والموجه إلى المـدلولات، ومـع شـدة عنايـة البلاغيين وكثرة حديثهم عنه غير أنهم لم يعرفوه تعريفاً جامعاً مانعاً، وكأنهم اعتبـروه ممـا يـدرك بـدون تعريف، أو أنهم اكتفوا بوصفه وبيان آثاره، واستغنوا بذلك عن تعريفه. والأصوليُّون قد أبدوا اهتماماً شـديداً بدلالة السياق فالسياق يرشد إلى تبيين المجمل، وتعيين المحتمل، والقطع بعدم احتمال غير المراد... وذلك لأن دلالة النصوص نوعان: حقيقيَّة وإضافيَّة، فالحقيقيَّة تابعة لقصد المتكلم وإرادتـه وهـذه الدلالـة لا تختلـف. والإضافيَّة تابعة لفهم السامع وإدراكه، وجودة فكره وقريحته وصفاء ذهنه ومعرفته بالألفاظ ومراتبها. وهـذه الدلالة تختلف اختلافاً متبايناً بحسب تباين السامعين في ذلك..." راجع بدائع الفوائد لابـن القـيم (٩١٤-١٠) وإعلام الموقعين (٣٥٠/١ - ٣٥١) وقد أوردت ابنتنا د. رقية تفاصيل هامَّة في "دلالة السياق" وتقسيمات قديمة وحديثة أوضحت هذه الدلالة بما لا يستغني الباحث في هذا المجال عن مراجعته، فراجع ذلك فـي رسـالتها القيمَّة "أثر العرف في فهم النصوص: قضايا المرأة أنموذجاً"رسالة دكتوراه طبع ونشر وتوزيع دار الفكر فـي دمشق عام ١٤٢٤ هـ /٢٠٠٣م ص٢٦٠-٢٦٥. وكذلك رسالة صديقنا د. إبراهيم أصبان التي نال بها درجة الدكتوراه بعنوان "دلالة السياق في القرآن" لم تطبع طبعة عامة.

[2] أما السباق: فهو لصيق جداً بالسياق، وكبير الأثر في إدراك المناسبات، وهو ربط الكلمات والآيات والسور بما يسبقها، واعتبارها حلقة في سلسلة مترابطة.

[3] نحو القرطبي الذي اعتبر "اقرأ" الثانية توكيداً، وجعلها تمام الآية الأولـى (٢٠ / ١١٩) والألوسـي (٢٩ / ١٨٠)ويشير عدم ذكر فعل "اقرأ" الثانية لدى الطبري إلى اعتبارها مرادفاً، أو توكيـداً فراجـع (٣٩ / ٢٥٣) منه. أما الرازي فقد أعطى لكل من الفعلين معنى يخصه فقال - ناقلاً عن بعضهم: "اقـرأ – أولاً – لنفـسك. والثاني للتبليغ أو الأول للتعلم من جبريل والثاني للتعليم. أو اقرأ في صلاتك والثاني خارج صـلاتك" فـانظر تفسيره (٣١ / ١٦). وقال البغوي في تفسيره "معالم التنزيل": "إقرأ: كرره تأكيداً، ثم استأنف .. وربك الأكرم" (٤ / ..) أما ابن كثير فلم يذكر عن "اقرأ" الأولى والثانية شيئاً (٨ / ٤٥٩) ط دار الشعب القاهرة. وذهـب ابن الجوزي في زاد المسير (٩ / ١٧٦) إلى أنها للتوكيد كذلك. وابن عاشور في تفسيره التحريـر والتنـوير (٢٠ / ١٣٣) أورد ثلاثة أقوال: الثاني منها: " .. أن الباء في "باسم ربك" للمصاحبة، والمجرور في موضـع الحال من ضمير "اقرأ" الثاني مقدّماً على عامله للاختصاص
- أي: اقرأ ما سيوحى إليك مصاحباً قراءتك اسم ربك فالمصاحبة مصاحبة الفهم والملاحظة لجلاله، ويكـون هذا اثباتاً لوحدانيّة لله بالإلهيَّة ...". وهذا هو الأقرب لما ذهبنا إليه. وأما الطوسي فقد اعتبـر البـاء زائـدة، ومفعول "اقرأ اسم ربك" وأما " اقرأ" الثانية فمفعولها المقدّر هو "القرآن" فانظر التبيان (١٠ / ٣٧٩)

ومتعلّقها، ومناهجها وكيفيأتّها وميادينها. يعّضد هذا ويعزّزه. أنّ الأمر بالقراءة في الآية الأولى اقترن "باسم ربِّك" وكانت صلة الموصول - "الذي" –هي الخلق في : (... الَّذِي خَلَقَ {١/٩٦} خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ) فهي أمر بتحصيل فعل القراءة وممارسته مع الاستعانة بالله – تعالى – فهو ربك الذي يعلم أنَّك "ما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك"، ولذلك فإنَّه "سيقرؤك فلا تنسى" خلافاً لأي قارئ آخر معرَّض للنسيان والخطأ. فأقرأ باسمه هو، واستعذ به من الشيطان الــرجيم. (فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ) (النحل: ٦٨) والذي خلقك من علق، وخلق النوع الإنساني – كله – منه قادر على أن يخلق فيك فعل القراءة، ولو لم تكن قارئاً من قبل. وكل ما عليك أن تقرأ ما سنوحيه إليك وهــو القــرآن والذي خلقك ورعاك وأنشأك من علق، وخلق كل شيء فقدره تقديراً قادر على أن يعلمك القراءة، كما علم آدم الأسماء كلّها، وكما علّم أباك إبــراهيم وســواه مــن الأنبياء والرسل. فاقرأ باسمه وعلى اسمه ومعه وفي ذلك تنبيه من بدايــة الأمــر على انفصاله - صلى الله عليه وآله وسلم - عن قومه الذين كانوا يبدؤون أفعالهم مستعينين باللات والعزّى ومناة الثالثة الأخرى، وكلّها أوثان يصنعونها بأنفــسهم، ولا تصنعهم، ويخلقونها ولا تخلقهم.

كما أن في قوله تعالى: "خلق * خلق الإنسان من علق" تنبيهــاً إلــى وجــوب قراءة الخلق قراءة تبدأ بقراءة الذات الإنسانية من بداية الخلق إلى نهايــة الحيــاة بأطوارها كلها. فمنهج القراءة في الخلق ينطلق من قراءة النفس باتجــاه الكــون والآفاق. فتلك هي القراءة السليمة المنهجية. والبدء بتوحيد الربوبيــة، لا بتوحيــد الألوهية، فيه تنبيه إلى خطوة منهجية أخرى، هي الانطلاق من المحسوس باتجــاه المجرَّد، لأن الإنسان أقدر على ملاحظة المحسوس منه على ملاحظــة المجــرَّد وإدراكه. فالخلق، وبدائع صنعه، ونظمه وسننه وقوانينه هي المحسوس المشاهد أو المدرك بأية وسيلة من وسائل الإدراك. والمجرّد هو "التوحيد" بأنواعه، فهــو مــا يتوصل بصحيح النظر في ذلك المحسوس إليه. فإدراك المحسوس لــيس نهايــة المطاف، بل هو المقدمة لإدراك المجرّد. وهنا يمكن أن يــدرك الإنــسان "فعــل

الغيب" في الواقع: فيصل إلى الربط الضروريّ بين الغيب بكل مكوناته، والإنسان والكون.

القراءة الأولى:

الأمر الأول بالقراءة – إذاً -: هو أمر بقراءةٍ[1] باسم الله أو على اسمه - تعالى - ومعه، لهذا الوحي النازل الذي سيتتابع نزوله حتى يتم قرآناً كريماً مجيداً مكنوناً مفصَّل الآيات، محكماً مترابطاً متماسكاً متناسباً متشابهاً تتلوه يا محمد على الناس، وتبيِّنه لهم ليتعلّموا منه الحكمة والهداية والرشد فتزكو نفوسهم، وتطهُر حياتهم، ويهتدوا به في أداء مهام الاستخلاف والقيام بواجب الائتمان، وحق العمران وحين رد رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلّم - بأنه ليس بقارئ[2] لا شك أنَّه فهم المطلوب، وهو قراءة ما سيملى عليه وهو لا يعرف القراءة والكتابة، وليس له من العلم ما يقرؤه، ولذلك فإنه تعالى قد ربط القراءة "باسم ربك"، فكأنَّه قال له: إنَّك لن تكون وحدك في أداء هذا الفعل الذي لا تعرفه، بل سيكون معك ربك الذي أعطاك الكثير وهو قادر على أن يعلمك كيفية أداء ما أمرك به، ويزيد على ذلك: كما علم آدم الأسماء كلها، وكما علم إبراهيم وموسى وعيسى وسواهم من النبيين والرسل – عليهم السلام - من قبلك، فاقرأ باسمه واستعن به في القراءة يعنك ويصحبك ويكن معك فيها، وفي بيانها وتعليمها وإقامة الحجة بها على الناس.

---

[1] راجع تفسير الرازي فقد ضعَّف ما ذهب إليه جل المفسرين من القول بزيادة "الباء" في "باسم ربك"ورجح أن الباء ليست زائدة وذكر لها ثلاثة أوجه (٣١ / ١٣ – ١٤) ط دار الفكر. وانظر التحرير والتنوير (٢٠ / ٤٣٦) وذكر أن "الباء" للاستعانة أو المصاحبة أو بمعنى "على"، وذلك قريب مما ذكر الفخر. ومثله في روح المعاني للألوسي (٢٩ / ١٧٩) ط مكتبة دار التراث – القاهرة بدون تاريخ. وقال الطباطبائي في الميزان: "إن الباء للملابسة" (٢٠ / ٣٢٣)

[2] اشارة لحديث "بدء الوحي" الذي أخرجه البخاريّ في باب "كيف بدأ الوحي إلى رسول الله – صلى الله عليه وآله وسلّم – وقول الله – جل ذكره -: "إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده" الحديث رقم (٢ و٣).

وذكر الرب – جل شأنه – الإنسان، وذكر خلق الإنسان بالذات فيه طمأنة لرسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - بأنَّ منحه القدرة على القراءة ليس بالأمر الصعب على ربِّه الذي خلق كل شيء، وخلق الإنسان من علق. " بل هو عليه هين" كما أنَّ في ذكر الخلق تهيئة لذهنه الرشيد ونفسه الشريفة - صلى الله عليه وآله وسلم - لبيان النوع الثاني من القراءة.

القراءة الثانية:

ألا وهي قراءة الكون والنظر في الخلق، ومعرفة ما دونته البشرية من فهم له، وتجارب فيه بأقلامها، فهذه القراءة – هي التي صاغ القرآن المجيد بحسبها "دليل الخلق ودليل الإبداع، والتكليف بالنظر العقليّ في الوجود، والنظر في آثار الأمم السابقة، ومعرفة ما حدث لها". فبذلك تكون القراءة المأمور بها قراءتين: قراءة في الكون المخلوق، وكل ما يتعلق به من عالم الخلق، والتشيؤ بما في ذلك تراث الأمم الذي دونته وآثارها، فبالقراءتين تدرك الفروق بين الأمم التي استفادت بالوحي واتبعته، واستنارت به، وبين الأمم التي تجاهلته، وتعاملت مع الطبيعة أو الكون – وحده – دون استنارة بهداية الوحي.أو أهملت الكون والتجارب البشريّة وعبر التاريخ ودروسه، وقراءة الوحي المنزل على قلب رسول الله – صلى الله عليه وسلم وآله وسلم.بحجة الاكتفاء بالوحي والاستغراق فيه. فمن أراد أن يقرأ الوحي بدقة وتدبر فإنه لا غنى له عن قراءة الكون وما فيه بالنظر في خبرات الأمم السابقة وتجاربها، ومعرفة الحضارات الغابرة وكيف سادت ثم بادت أو اندثرت. فلقد اعتنى القرآن به عناية فائقة، ولفت الأنظار إلى ذلك في سور عديدة، وآيات كثيرة، لما في ذلك من عبر ودروس وعظات تجعل السالف قادراً على إفادة الخالف مهما طال الأمد فيما بينهما. وتجعل الخالف يرى نتائج أفعال من سبقوه فيدرك أن أفعاله – أيضاً – سيكون لها من الآثار مثل ما لأفعال من سبقوه إن خيراً فخير وإن شراً فشر. وفي ذلك تكريس لمبدأ "المسؤولية الفردية، والأثر الجماعي أو المجتمعي" فيتعلم الإنسان بذلك كيفية الانضباط في أفعاله وتصرفاته،

ويتهيَّأ عقله ونفسه لقبول "مبدأ الجزاء والعقاب والثواب" ويتعلم النظر فيما يـرث عن الآباء نظر الفاحص الناقد المعتبر فيتخلص من هيمنة مبدأ "الآبائية" وتقليـدها ومتابعتها على الحق وعلى الباطل، ويدرك كذلك أنّ للأمم التي خلت ما كـسبت، ولنا ما نكسب ولا يغني أحد عن أحد من الله شيئاً.

قراءة الكتابين:

فهما – إذاً – كتابان تجب قراءتهما – معاً - للخروج من إسار الأمية بكـل أشكالها ومعانيها: كتاب منزل متلو معجز وهو القرآن، وكتاب مخلوق مفتوح وهو هذا الخلق والكون والتجارب البشرية فيه، ومنه التعامل مع الإنسان نفـسه، فهـو جزء من الخلق وابن شرعيٌّ للطبيعة: (مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْـرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى) (طه: ٥٥).

القراءة إنسانية:

وهذه القراءة تكون ابتداءً من الإنسان، فهو الذي لابد له من قراءتهما – معاً – لتوجد لديه المعرفة العمرانيَّة الكاملة التي تمكن الإنسان من الوفاء بالعهد والقيـام بمهام الاستخلاف، وأداء حق الأمانة، والقيام بمقتضيات العمران. والنجـاح فـي اختبار البلاء. وهي معرفة لا تقوم على التلقي والتلقين وحدهما، بل على الأخـذ عن الغير - أيضاً – من سابقين ولاحقين بالمراجعة والمطالعـة وقـراءة الكتـب وكتابتها وتناقل الخبرات والمعارف بين البشر وعدم الزهد في المعرفـة مـن أي وعاء خرجت، والتعامل المنهجي معها.

وحدة البشرية:

وفي ذلك تنبيه على "وحدة البشرية وضرورة استفادة اللاحق بميزات الـسابق من المعرفة والخبرات والتجارب، والتواصل معها، واستعمال القلم – الذي علم الله به، وجعله وسيلة للمعرفة وتبادلها وإنمائها وتناقلها، ثم ما يمن الله – تعالى – بـه

من معارف تتقدح بها العقول من مستنبطات ومخترعات وغير ذلك مما ينــدرج تحت قول الله تعالى: (عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ) فهناك – إذاً - مصدران للمعرفــة الإنسانية - لن نمل التأكيد على ترابطهما - يتضافران في توصيل الإنسان إلــى معارف الشهود الحضاري، والقيام بمهام العمران والاستخلاف في هــذا الكــون، ولابد للإنسان من الجمع بينهما، وعدم الغفلة عن أي منهما، فيفهم القرآن العظــيم ومدلولاته بالخلق وبالوجود والسنن والقوانين الضابطة لحركته وحركة مــا فيــه، ويفهم الكون ويهتدى في أداء مهام الخلافة فيه والعمران، والقيام بمقتضيات الأمانة بالقرآن المجيد ونور هدايته. ولابد من قراءة المصدرين - معاً - ، وتنفيــذ الأمــر بالقراءتين سويّاً: قراءة الوحي النازل المتمثل في الكتاب الكريم الذي حدَّد غايــة الحق من الخلق وبيَّن تلك السنن والقوانين الضابطة لحركة الوجود. إضافة إلى ما اشتمل عليه من الشرعة والمنهاج. والحقائق الأساسية التــي تحتاجهــا البــشرية. وقراءة في الكون وآفاقه والنفس البشريَّة وما يصلحها أو يفسدها. والفطرة، ومــا ينميها، وما يطمس عليها.

أخطاء القراءات المنفردة وسلبيَّاتها:

إذا تبين هذا يتضح أن القراءتين في الوحي وفي الكــون فريــضتان، لأنهمــا أمران إلهيان فيهما كل ما في الأمر الملزم من شروط وصفات، والجمــع بينهمــا ضروريّ، إذ بدونه يقع الخلل.

إهمال القراءة الأولى:

فمن تجاوز القراءة الأولى في الوحي النازل إلى النبيين، واستغرق اســتغراقاً كلياً في القراءة الثانية التي تمثل علم الكون أو معارف الطبيعة، منقطعة عن الله - تعالى – فقد العلاقة بالله، وتجاهل الغيب، وانطلق بفلسفة إنسانية مستقلة وضــعية منبتة عن الله، عوراء قاصرة في مصادرها، تحــاول أن توحــد بــين الإنــسان والطبيعة بإطلاق. وتعتبر الخالق والغيب كله مجرد ما ورائيّات أو ميتافيزيقا يمكن

تجاهلها أو تجاوزها. وإذا كانت – هناك - قوة غيبية قد مارست خلقاً أو إيجاداً، فقد تكون مارسته بقوة الدفعة الأولى، ثم تناسته أو نسيته ليستمر الكون بعد ذلك فاعلاً ومنفعلاً بشكل آليّ كما ذهب إلى ذلك أرسطو[١] في القديم، ونيوتن[٢] وغيره في الحديث، وحين يحلو لبعض هؤلاء المتفلسفين أن يتذكروا البارئ - جل شأنه - فإنَّهم قد يتذكرونه بشكل حلوليّ يزعم أصحابه أنّ الله – تعالى – قد حل في قوى الطبيعة ذاتها، وذاب فيها ليتحول إلى جزء حالٍّ فيها لينتهوا بعد ذلك إلى "الماديَّة الجدليّة" – التي أنكرت الخالق تماماً، وطرحت بدائل له من اتجاهات النمو عبر خصائص التطوُّر الماديِّ المعقّد ليشعر الإنسان باندماجه الكامل بالطبيعة باعتبارها كائناً طبيعيّاً وهنا يبدأ الإنسان الشعور بالغنى أو الاستغناء عن خالقه - جل شأنه -،لأنه لم يعد يرى غير الطبيعة أمامه فهي كل شيء وهي وراء كل شيء وهو في ظاهر الأمر قادر على قهرها بالعلم: فلا يراها وهي مسخَّرة مقهورة بسنن الله تعالى، بل يراها كوناً مستقلاً أي امتدادً غيبياً، وآنذاك لا يشعر أن الله – تعالى - قد سخرها له، وأنّه الخالق له ولها، بل يرى الإنسان أنه الفاعل المبدع، المتعدّد القدرات، المسيطر على الطبيعة، المفجِّر لكوامن ما فيها: وفي ذلك انحراف في الرؤية والتصور خطير فالكون مهيأ مسخر للإنسان، والإنسان مزود بالقدرات التمكينية الذهنية والعقلية والعلمية التي تمكنه من تسخير الكون، ليقوم بأمانة الاستخلاف، وحين يغفل الإنسان أو يعشو عن ذكر الرحمن، ولا يرى القدرة الإلهية في ذلك كله ظاهرة بهداية الوحي يشده الشعور بالاستغناء، والإحساس بالقدرة والإبداع إلى أن يجعل من علاقته بالكون علاقة تسلّط وقهر وصراع واستعلاء، لا استخلاف. ويفقد بوصلة الاهتداء، وتفقد عناصر الطبيعة علاقتها الوديّة بالإنسان، ويفقد الإنسان بدوره شعوره بأنه المخلوق المستخلف المؤتمن على الكون كلِّه، وأن كل هذه الأشياء المخلوقة مسخَّرة لهذا المؤتمن

---

[1] أرسطو: فيلسوف شهير ومعلم يوناني يعتبر من أهم فلاسفة اليونان القدماء، ترجم فلاسفة المسلمين تراثه الفلسفي، والمنطقي، وأعجب الكثيرين منهم، حتى أنهم قد لقبوه "بالمعلم الأول". (٣٨٤ -٣٢٢) ق.م.

[2] نيوتن، اسحق: فيزيائي انكليزي صاحب قانون الجاذبية العام وقوانين الحركة. (١٦٤٢ -١٧٢٧) م.

والمستخلف، وكلاهما في المخلوقيَّة والعبوديَّة لله – تعالى - سواء، "وَاللَّهُ خَلَقَكُـمْ وَمَا تَعْمَلُونَ " (الصافات: ٩٦)، فإذا فقد هذا التصور فقد يتخذ الوجود – في نظره - شكل القوى المتصارعة المتنابذة، ويتخذ الإنسان الغافل – من نفسه وهـواه - شكل المتألِّه المسيطر بالعلم على كل شيء، فيمجد ذاته ويتخذ إلهه هواه، ويتـوهم أن له أن يستمد قيمه من ذاته ومن الطبيعة. والدين والإيمان - نفسه – قد يتحـول في إطار هذه القراءة المنفردة العوراء إلى شيء يوظفه من شاء ساعة يشاء لتلبية رغبة، أو لأداء خدمة. وهنا يحق عليه القول: (كَلَّا إِنَّ الْإِنسَانَ لَيَطْغَى {٦/٩٦} أَن رَّآهُ اسْتَغْنَى) (العلق: ٦ - ٧)، فيقع في الاستبداد والطغيان على أخيـه الإنـسان. وتحدث كوارث البيئة، ويظهر التلوث والفساد في البر والبحر والجو بما كـسبت أيدي الناس، ويختل التوازن وتظهر أمراض الانحراف والشذوذ فـي المعمـورة، فقارات يعمها الجوع والخراب وأخرى تعمها الأمراض بكل أشـكالها، والجـرائم بكل أنواعها، وتسود المعيشة الضنكة: (وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى) (طه: ١٢٤).

وقد يُقنع الغافلون عن ذكر الرحمن أنفسهم بأن ما يحدث ضريبة طبيعيَّة لازمة لا مناص للراغبين في التمتّع بالمعطيات الحضاريَّة من احتمالهـا ودفـع قيمتهـا الفادحة.لكنّ ذلك خداع للنفس، وزخرف من القول فالعمران الربّانيّ تحكمـه قـيم الحق والخير والجمال معاً، فإن وقعت بعض الأعراض الجانبيّة أمكن احتواؤهـا وتلافي آثارها بتوفيق الله وهدايته؛ لأنّ العمران المهتدي لا ينفك عن " المرجعيَّـة الإلهيّة للكون".

إهمال القراءة الثانية:

أما إهمال القراءة الثانية في الكون والطبيعة المسخَّرة، أي إهمال قراءة الوجود والكون والاقتصار على قراءة الوحي وحده منقطعاً منبتاً عن الوجود، فإنَّه يـؤدي إلى نفور من الدنيا، واستقذار لها ولما فيها، يـشل طاقـات الإنـسان العمرانيَّـة والحضاريَّة، ويعطِّله عن أداء مهام الخلافة والأمانة والعمران، ويحول بينه وبـين

التمتُّع بنعمة التسخير. ويعطل فكره، وينقص من قيمة فعله، بل قد يلغي إدراكه لفعله فلا يرى الإنسان نفسه فاعلاً في شيء، ولا يرى لوجوده في الحياة معنى عمرانيّاً، وكل هذه الأفكار منافية تماماً لمنهج القرآن العظيم.

كما أن تجاوز القراءة الثانية في الكون وإهمالها، أو عدم جمعها مع الأولى يؤدي إلى ظهور العجز الإنساني الحضاري، وتعطّل طاقات الإنسان، وإلى خلط عجيب بين قضايا عالم الغيب وعالم الشهادة كما تقدم.

وقد يتوهم المقتصرون على القراءة الأولى – قراءة الوحي منفرداً – أن تنزيه البارئ – جل شأنه – لا يتم إلا إذا ألغيت قيمة الفعل الإنساني. ونفيت إرادة الإنسان واختياره. واستلب استلاباً لاهوتياً كهنوتياً من دوره، واقتنع بأنه مسيَّر في كل شيء. وبذلك ينتهي دوره الاستخلافي العمراني، وتستحيل قدراته إلى عجز مطلق. وقد يستغرق في المحرمات معتذراً عن ذلك بأنه مسيَّر. وتلك صفة من صفات أهل الشرك[1].

والناظر في مقالات الإسلاميّين في الماضي، وكتب الفرق الإسلامية يجد في مقالاتهم العجب العجاب في قضايا الخلط بين الفعل الإنساني والفعل الإلهي والإرادة الإنسانية وقضايا الاختيار والعلل والأسباب وسواها، ذلك الخلط الذي أدى إلى كثير من الغبش والاضطراب في النظام المعرفي الإسلامي.

إذاً لا بد من الجمع بين القراءتين: قراءة الوحي، وقراءة الوجود، وبناء العقل الإنساني بهما – معاً – لئلا يقع الإنسان في أي من ذينك الطرفين الذميمين.

منهجية القرآن المعرفية:

---

1 إشارة إلى قوله تعالى: (سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُواْ لَوْ شَاء اللّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلاَ آبَاؤُنَا وَلاَ حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم حَتَّى ذَاقُواْ بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِن تَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إَلاَّ تَخْرُصُونَ) (الأنعام: ١٤٨).

من هنا كان ما سميناه بـ"منهجية القرآن المعرفية"[1]، دعامة أساسية للجمع بين القراءتين، وضرورة معرفية وحضارية لا على المستوى الإسلامي وحده، بل على المستوى العالمي – كله - للخروج من المأزق المعرفي[2] المعاصر والأزمة الفكرية العالمية المعاصرة[3]: فبعد تكريس البعد المنهجي في التفكير واجه الفكر الغربي والحضارة الغربية مشكلة تحديد الصياغة المنهجية لذاتها ومعرفتها صياغة تستند إلى تطور الغرب العلمي بكل جوانبه فلم تصل في ذلك إلى ما يشفي العليل، ويروي الغليل. ولقد قامت الماركسية في محاولة إيجاد هذه الصياغة في إطار "المادية الجدلية"، وقد انهارت الماركسية بانهيار الاتحاد السوفيتي قبل أن يجد الغرب البديل المعرفي والمنهجي لها لتبقى الحضارة الغربيَّة دون صياغة فلسفية بديلة، تضبط حركتها، وتستوعب مشكلات تطورها. وتجعلها قادرة على تقديم إجابات عن "الأسئلة النهائية" المعلقة - التي يشيح علماء اليوم بوجوههم عن مراجعتها. فبدأت الحضارة الغربيَّة تلجأ إلى خلق الأزمات لتحافظ على توترها، لأنّه – أي: هذا التوتر - صار من أهم وسائل حمايتها من التفكك. أما أزمتنا نحن العرب والمسلمين فهي أشد وأنكى، فنحن شركاء في الأزمة العالميّة من ناحية، لأن علاقتنا بها لم تعد علاقة برَّانيَّة أو هامشيَّة - كما قد يتوهم البعض – فالحضارة المعاصرة قد نجحت من خلال غزوها الفكري والثقافي والمؤسَّسي أن تفرض علينا وعلى العالم كله منهجها ووعيها العلمي والمفاهيمي للوجود وللحركة الكونيَّة. كما فرضت على الجميع رؤيتها للتاريخ والعلم والمعرفة والحضارة

---

[1] نعني بـ "منهجية القرآن المعرفية" المنهج الذي يقدمه لنا القرآن المجيد في شكل محددات وسن قوانين يمكن استنباطها من استقراء آيات الكتاب الكريم تلاوة وتدّبراً وترتيلاً وتنزيلاً وتفكراً وتعقلاً وتذكراً، ثم التعامل مع هذه المحددات تعاملاً يسمح لنا بأن نجعل منها محدِّدات تصديق وهيمنة، وضبط لسائر خطواتنا المعرفيّة، ومنها: تصحيح مسار المنهج العلمي، وإخراج فلسفة العلوم الطبيعية والاجتماعية من مضايق النهايات التي تتوقف عندها الآن. وفي مقدمة هذه المحددات "الجمع بين القراءتين" و"الوحدة البنائية للقرآن" ...الخ.

[2] الذي يتردى فيه المنهج والمعرفة على حد سواء، فأزمة "المنهج وفلسفة العلوم الطبيعية والعلوم الاجتماعية" أصبحت تقض مضاجع العلماء

[3] فالأزمات الفكرية آلت إلى نوع من الاستفحال لم تعد المناهج البشرية قادرة على معالجته، كما لا يخفى على مراقب لما يجري في العالم المعاصر.

والثقافة والتقدم والتخلُّف وغيرها، فما هي حقيقة "المنهجية القرآنية" التي نقترحهـا حلاً لأزمتنا المعرفية والفكرية وأزمة العالم معنا؟

محددات ومعالم:

تبرز محددات "منهجية القرآن المعرفية" وتتحقق من قراءة الكتـابين: القـرآن والكون، وتؤسَّس على مقابلتهما والكشف عن التكامل والتفاعل بينهمـا، وإبـراز المنهجية في البحث والاكتشاف انطلاقاً منهما:

الكتاب الأول: هو كتاب الوحي المقروء، ونعني به "القرآن"، لأنه وحده الكتاب الكونيّ، الذي يعادل الوجود الكونيّ وحركته ويستوعبهما بأبعاده الكونية.

والكتاب الثاني: هو كتاب الكون المتحرك الذي يتضمن ظواهر الوجود كافـة. فالقرآن العظيم والكون البديع كلاهما يدل على الآخر، ويرشد إليه، ويقـود إلـى قواعده وسننه، فالقرآن يقود إلى الكون ويمارس دوره في الهداية فيـه، ويوظفـه بوجوه عديدة، لتسخير مكوناته، ولتوضيح قضاياه، وتأييد دعاواه، والكون أيـضاً يقود إلى القرآن ليسقط أسئلته عليه، ويستعين به لإرشاد الإنسان إلى كيفية التعامل معه، واستثمار تسخيره، ومعرفة هذا وإدراكه والعمل بمقتضاه هو ما أطلقنا عليه "الجمع بين القراءتين": قراءة تبدو غيبية تنشأ في إطار الـوحي وتنطلـق باتجـاه الكون. وقراءة موضوعية تنطلق من الكون وعناصره باتجـاه الـوحي. فقـراءة الوحي بمثابة تنزُّل من الكليّ إلى الجزئيّ، فتدرك بقدرما تتيحه القدرات البـشريّة النسبيّة من الفهم لتنزلات الكليّ وكيفيّاتها. وقراءة الكون تقدم القضايا والمـسائل، والأسئلة الجزئيَّة وترفعها إلى سُدّة الوحي ليهتدي الإنسان القارئ في الاثنين إلـى الإجابات السليمة من المصدر الذي يهدي للتي هي أقوم. وتبدو للإنسان القارئ – آنذاك - جدليّة العلاقة بين المصدرين: الوحي والكون أو علاقة" الفهـم التكـامليّ المتبادل والجدل والتفاعل" بينهما بأوضح ما تكون.

دور قراءة السنة:

هنا يبدو دور قراءة السنة والسيرة في كليّتهما ضروريّاً، وتكون قراءة الكون بمثابة تطلّع وعروج من الجزئيّ باتجاه الكليّ المتمثل بالوحي، وتطبيقات رسول الله – صلى الله عليه وآله وسلّم – له فيقرأ ذلك كله وفق قدرات البشر النسبيَّة على فهم الظواهر، فلا يقع الفصام المزعوم بين معطيات الوحي ونتائج المعرفة الموضوعيّة، إذا فهمت السنَّة والسيرة فهماً دقيقاً في هذا الإطار.

وإضافة إلى فهم السنة والسيرة في كليتهما، وجمعهما مع القرآن الكريم في الطريق إلى "الجمع بين القراءتين". نحتاج إلى أن ندرك أن "... القرآن قد نزل به الروح الأمين على قلب رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلّم - (... وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ {١٩٢/٢٦} نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ {١٩٣/٢٦} عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ {١٩٤/٢٦} بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ)(الشعراء : ١٩٢ – ١٩٥) فنزوله كان على القلب.

ولذلك نهى - صلى الله عليه وآله وسلم - أن يحرك لسانه به بادئ ذي بدء: (لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ {١٦/٧٥} إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ {١٧/٧٥} فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَه) (القيامة: ١٦ – ١٨) وما ينزل على القلب فإنه ينزل ويراد له الفهم والتدبر والاستيعاب والاستقرار في القلب، ولذلك فإن التالي للقرآن المجيد إذا أراد فهم ما يقرأ، وإدراك معانيه، ومس مراد الحق منه فعليه أن ينزّله على قلبه، ويدرك معانيه ببصيرته.

وعلى التالي الذي يريد أن يبلغ في تلاوته مستوى "حق التلاوة": أن يدخل إلى رحاب القرآن، وهو على يقين من أنه سوف يجد فيه كل ما يريد إذا نزّله على قلبه وتلاه حق التلاوة، ورتّله ترتيلاً، وتدبره وتعقله وتفكر بما فيه وتذكره.

ومن قرأ سورة من القرآن، أو نجماً من نجومه أو آية من آياتــه فقــد فــتح لبصيرته نافذة الفرقان على آفاقه الرحبة الواسعة.

أما من قرأه، ووقف معه بكليَّته وفي إطار وحدته البنائيَّة من حيث هو واحــد كل أو مجموع كان في حقه فرقاناً. والفرقان معنى جليل واسع يفرق الإنسان بــه بين الخير والشر والحق والباطل والصواب والخطأ، فتكون لدى القــارئ التــالي المتدبر قدرة أو ملكة أو حاسة تمكنه من التمييز في ذلك – كله – وتقيــيم أقوالــه وأفعاله وحركاته وخطراته وأفكاره ونواياه وجل تصرفاته بذلك الفرقان. وعنــدما يحدث للإنسان ذلك يقال له: "استفت قلبك وإن افتاك المفتون وأفتــوك" فــالقرآن يكون بمثابة "النموذج المعرفي الكلي" للإنسان القارئ التالي المتدبر للقــرآن فــي كليته. وفي هذا الإطار يستطيع أن نفهم تشديد رسول الله - صلى الله عليه وآلــه وسلم - على أصحابه بأن لا يكتبوا عنه شيئاً إلا القرآن. وتأكيده عليهم: بأن مــن كتب شيئاً غير القرآن فعليه أن يمحوه [1].

[1] إنّ رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - لم يقتصر على الأمر بعدم بتدوين الأحاديث والأخبار والــسنن، بل جاوز - صلى الله عليه وآله وسلم - ذلك إلي النهي الواضح الصريح عن كتابتها، بل والأمر بمحــو مــا كتب منها. وكذلك فعل أصحابه من بعده، وبخاصة الشيخان أبو بكر وعمر – رضي الله عنهما – حيث شدّدا في النهي عن التحديث. ومن جاءهم بحديث فإنهما كانا يصران على أن يأتي بمن يعزز ما روى ويشهد بأنَّــه سمع ذلك معه من في رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - مما جعل جمهرة الصحابة يعرضــون عــن التحديث والرواية. ولذلك فإنّنا نجد كثيراً من الأمور المتكرّرة حين رويت جاءت متنوعة، مختلفة الروايــات، مع كثرة تكرراها، وإمكان نقلها بالتواتر مثل ألفاظ الأذان والإقامة والبسملة والحيعلة: "حيّ على الــصلاة" أو "حيّ على خير العمل". والإقبال الذي حصل بعد الأمر بجمع السنن من عبد العزيز سنة (٨٣) هــ ثم من ابنه عمر بن العزيز – رضي الله عنه - سنة (٩٩) هــ إنما حصل لأن عمر بن عبد العزيز رأى في جمع الــسنن ووضعها بين أيدي المسلمين بديلاً عن الاختلاف في الفقه، فإن عنصر الإلزام بالمروى عنه عليــه الــصلاة والسلام أقوى من الإلتزام بفقه الفقهاء. وذلك أكثر تأثيراً في جمع الكلمة، وتقليل الاختلاف.

أما لماذا نهى رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - عن تدوين أي شيء غير القــرآن، وتبعــه صــاحباه الشيخان في ذلك، فذلك لكي يبني عقول الناس ونفوسهم وقلوبهم أولاً بالقرآن -وحده - فيصبح القرآن مــستقراً فيها، عنه تنبثق نماذجهم المعرفيَّة، ومنه ينطلقون في بناء مناهجهم العلميَّة، فيصبحون قادرين على قياس كــل مصدر كليّ أو جزئيّ، وكل نوع من أنواع المعرفة إليه، ومحاكمته إلــى الرؤيــة القرآنيّــة ونقــده وتنقيتــه بمقتضاها وفقاً لها. إضافة إلى تقرير وترسيخ "حاكميَّة القرآن" في قلوبهم وعقولهم. ولم يكن السبب ما ذكــره البعض من "خوف الاشتباه والتداخل بين القرآن والأحاديث المروية"، فذلك أمر مستبعد جــداً أن يقــع فيــه=

=العرب وهم أهل البلاغة والفصاحة الذين يدركون الفجوة الواسعة بين آيات الكتاب الكريم وأي شيء سـواه بما في ذلك أحاديث أفصح من نطق بالضاد عيه الصلاة والسلام - ورسول الله صلى الله عيه وآله وسـلم - لا ينطق عن الهوى، فما دام قد فعل ذلك ونهى عن كتابة غير القرآن، فذلك يعني أنه لم يفعل ذلـك إلا لحكمـة بالغة علمها الله، وأوحاها إليه – صلى الله عليه وآله وسلّم - أو توقيف مباشر، وإلا فالعرب لا يخفى علـيهم الفرق بين اللفظ القرآني وسواه،مهما كانت درجة بلاغته وفصاحته.

كما أنّ القرآن المجيد يحوي أصول السنن، وتستدعي آياته السنن ولا عكس. وقد نص الإمام الـشافعي علـى ذلك بقوله: "في الفقرة ٤٠، ٤١، ٤٢، ٤٣، ٤٤، ٤٥، ٤٦، وفي ٤٨" توج ما قاله في تلك الفقـرات بقولـه: فليست تنزل بأحد من أهل دين الله نازلة إلا وفي كتاب الله الدليل على سبيل الهدى فيها. (مقدمة الرسالة ١٧ - ٢٠).

كما أن العلماء بعد الأجيال الثلاثة قد تساهلوا، خاصة في "جيل الرواية" بنقل الـسنن بـالمعنى، لأن القـرآن يصدق عليها ويهيمن مثل تصديقه وهيمنته على تراث النبيِّين من قبل رسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم - كافة فليس هناك كبير خوف من تصرف بعض الرواة بالألفاظ ونقلها بمقتضى فهمهـم لهـا، فـإن وراءهـا مصفاتين دقيقتين: أولاهما: أن يكون للمروي أصل في القرآن وفي اللغة. والثانية: أن تكـون ممـا يـصدّق القرآن عليه ويهيمن، وبذلك يمكن تصحيح ما قد يخطئ فيه فهم الراوي، سواء أكان ذلك بسبب مستوى قدرته على الفهم والاستيعاب، أم بسبب لغويّ، أم بسبب القراءة لمعاني الحديث وأسباب وروده أم أي مؤثر آخر.

والكتابة وسيلة توثيق دقيقة (ولا شك ولا يضير العرب الذين فضلوا المحفوظ على المقروء ذلك)، وهـي أدق من الحفظ في الذاكرة وإذا طرأ على الكتابة تصحيف أو ما إليه، فذلك مما يمكن تداركه وتصحيحه، ولـيس كذلك الخطأ في الذاكرة إذا استقر، وجرى تداوله شفاهاً.

وهذا الذي نقوله يوضح أن النهي النبوي عن كتابة السنن لم يكن لبيان عدم حجيّتها كمـا يـذهب إلـى ذلـك المستشرقون والمنازعون في الاحتجاج بالسنن، ومنهم أولئك الذين يطلقون على أنفـسهم لقبـاً لا يـستحقونه فيسمُّون أنفسهم "بالقرآنيين"، وما هم "بقرآنيِّين" فلو أنهم كانوا "قرآنيِّين" لما وسعهم نفي "حجيَّة الـسنَّة" الثابتـة بصريح القرآن المجيد. ولأدركوا أن النزاع الذي نشب في جيل الرواية واشتد في جيل الفقه لم يكن نزاعاً في "ذات الحجيَّة" إذ الحجية أمر معلوم من الدين بالضرورة، ولكن النزاع وقع في حجية "الإخبار بالسنَّة" الذي هو الإسناد "فالإخبار بالسنة" هو ما يمكن أن يوصف بالقطع والظن، والحجيَّة وعدمها، ويرد - بمقتـضى الحكـم عليه وبنقد المتن – الحديث أو يقبل. أما السنّة الثابت صدورها عنه – صلى الله عليه وآله وسلم - فلا نـزاع في حجيتها بين المؤمنين.

كما أن ما قررناه مستفاد من المنهج الذي نزل القرآن الكريم به، حيث تنزل القرآن – كما هـو معـروف – نجوماً استغرق نزولها اثنين وعشرين عاماً وخمسة أشهر واثنين وعشرين يوماً من حياة رسول الله - صـلى الله عليه وآله وسلم -، وقال جل شأنه في ذلك: (وَقُرْآناً فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنزِيلاً) (الإسراء: ١٠٦).

وقد اعترض المشركون على هذا المنهج في التنزيل، وسجل القرآن اعتراضهم على هذا، وناقشهم فيه وبـين الحكمة التي خفيت عليهم في تنزيله بذلك المنهج، فقال جل شأنه: (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُـرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا) (الفرقان: ٣٢). وللحكمة ذاتها: -تثبيت الأفئدة =

الجمع بين القراءتين ومداخله:

هنا سنحاول أن نمهد لبيان كيفية "الجمع بين القراءتين"، وذلك ببيان بعض المداخل المهمة لقراءة كل من القرآن والكون. نستعين بها على منهج التعامل مع "الجمع بينهما". ولنبدأ بمداخل قراءة القرآن:

١. إن تنزيل القارئ للقرآن على قلبه –بالشكل الذي أوضحنا – مدخل أساسي من مداخل فهمه، والفقه فيه. ولعله أهم مداخل "الجمع بين القراءتين" فالله -تبارك وتعالى - قال: (قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللّهِ مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ) (البقرة: ٩٧) وقال تعالى (وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ {١٩٢/٢٦} نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ {١٩٣/٢٦} عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ {١٩٤/٢٦}) (الشعراء: ١٩٢ - ١٩٤) وهناك مداخل أخرى للدخول إلى عالم القرآن المجيد، منها:
٢. مدخل الإيمان "بالوحدة البنائيَّة للقرآن المجيد". وقراءته مع استصحاب هذا المدخل. والوحدة البنائية تجعل التالى المرتل المتدبر يطوف في رحاب

=بالقرآن أراد رسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم - أن تنشغل عقول وقلوب المسلمين بالقرآن وحده – حتى تثبت به عقولهم وقلوبهم، وتستقر به نفوسهم، وتخالط بشاشته أفئدتهم وضمائرهم، ولا يزاحم آياته في انفعالهم به أي شيء آخر. وبذلك كان القرآن لذلك الرعيل عقلاً يفكرون به، ونفساً يحيون بها، ووجداناً تتشكل به عواطفهم ومشاعرهم، وأعيناً يبصرون بها كل ما حولهم، ومنهجاً ضابطاً لحركات العقول والنفوس والتصرفات يعصم الإنسان عن الوقوع في الخطأ فيها، وإذا مس الشيطان شيئاً من ذلك تذكروا فإذا هم مبصرون للحقيقة أو لوجه الصواب فيها. والأحاديث والآثار التي وردت في النهي عن كتابة السنن ومناقشتها من وجهة نظر الأشاعرة تجدها في كتاب شيخنا عبد الغني عبد الخالق **"حجية السنّة"** (٣٩٠ وما بعدها) وكذلك في كتاب د. محمد عجّاج الخطيب **"السنّة قبل التدوين"** طبع مكتبة وهبة للطباعة والنشر في القاهرة/ الطبعة الرابعة/ ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤/ الباب الرابع من الكتاب "متى دون الحديث"؟ (ص٢٩٣ -٣٨١) حيث جمع المؤلف - جزاه الله خيراً - ما يتعلق بالتدوين وناقش مختلف الآراء والأقوال الواردة في ذلك. وقد نتفق مع المؤلف في جل ما تناوله وقد نختلف في بعض الاستنتاجات معه، لكن يبقى ما أورده مما لا يستغنى الباحثون في هذا المجال عنه

القرآن ناظراً في آياته – كلها – باحثاً عن جميع الروابط وشبكات العلاقات بينها ليدرك ما يقرأ، ويفهم ما يتلو[1].

٣. مدخل الانطلاق من الإيمان "بوحدة السورة" وهو مدخل لا يختلف كثيــراً عن مدخل "الوحدة البنائية"، لكن التركيز فيه يكون علــى ســورة واحــدة يتخذها القارئ المتدرب بمثابة وحدة متميزة. وهنا ينطلق في تدبُّره باتجــاه البحث عن عمودها، والأعمدة أو الأوتاد الساندة. ونعنى بــذلك: أن لكــل سورة موضوعاً أساسياً تأتي آياتها – كلها – لتوضيحه وبيانه، وتجلية مــا يتعلق به. وتكون الموضوعات الأخرى دائــرة حــول ذلــك الموضــوع الأساسي تعززه، وتزيد في بيانه وتوضيحه، فتكون بمثابة الأوتاد المساندة لعمود البيت ودعامته الكبرى. وقد كتب فيه "الإصلاحي"[2] دراســة جيــدة تحتاج إلى من يبني عليها، ويتوسع فيها ونبه إلى ذلك الشيخ أمين الخولي[3].

٤. مدخل القيم العليا، وهي: "التوحيد والتزكية والعمران"فهذه القيم الثلاثة بلغت من الأهمية مستوى يمكن من القول بأنها محاور القرآن المجيد الأساســية التي تدور سوره وآياته وكلماته – كلها – حولها وتشترك في العمل علــى تكريسها وتعزيزها.

فالتوحيد حق الله – تعالى – على عباده أن يؤمنوا بواحديَّته ووحدانيَّته، وتفرده في ذاته وصفاته وأفعاله. ومعظم سور القرآن وجل آياته دارت حول التوحيد لأهميَّته القصوى، إذ عليه يتوقف كل ما عداه. فهو جوهر العقيدة، وركن الإيمان وعموده.

---

[1] لمعرفة تفاصيل المراد "بالوحدة البنائيَّة"، وكيفية استعمالها باعتبارها محدداً منهاجيّاً ونــشأتها وســيرورتها أفردناها بدراسة مستقلة يستحسن الرجوع إليها لفهم هذا المدخل بشكل مناسب وقد نشرت في مجلة الكلمة عدد (٤٣) ربيع (٢٠٤)

[2] راجع كتب الأستاذ عبد الحميد الفراهي الإصلاحي يرحمه الله سلسلة دراسات في التأويل وعلــوم القــرآن، منها حلقة خصصها للحديث عن "عمود السورة" أكد فيها: أنّ كل سورة لها عمود لابد للقارئ المتــدبِّر مــن الكشف عنه ليدرك معانيها، وما اشتملت عليه من موضوعات. وقد نشرت هذه الدراسات المكتبة الإصــلاحية في عليكر في الهند. وأعادت نشر بعضها "دار الغرب الإسلامي".

[3] على ما في "مسئولية التأويل": ص ١٣٩ وما بعدها للدكتور مــصطفى ناصــف. - القــاهرة: دار الــسلام للطباعة والنشر والتوزيع ، ١٣٢٥ هـــ ٢٠٠٤م.

ثم "التزكية" – وهي المؤهل الأساسي والشامل الذي يجعل الإنسان قادراً على القيام بمهام الاستخلاف، وأداء الأمانة والوفاء بعهده تعالى – وإعمار الأرض ووراثتها في الدنيا (أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ) (الأنبياء: ١٠٥) وهي التي تهيئ الإنسان لوراثة الفردوس في الآخرة: (الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) (المؤمنون: ١١) ثم "العمران" - وهو المهمة التي أوكلت للإنسان بعهد الاستخلاف، وهو الغاية التي سخر الله الطبيعة – كلها – للإنسان من أجل تحقيقها، والقيام بحقها. ونحن نستمد من سنن الكون وقوانينه ومنها التسخير والعمران ونستقي كثيراً من الأدلة على وجود الله – تبارك وتعالى – ووحدانيَّته في ذاته وصفاته وأفعاله، وبتدبُّر تلك السنن والقوانين نستنبط ما يتناسب والفطرة التي فطرنا الله – تعالى – عليها فنبني من أدلة "الخلق والإبداع والرعاية والتدبير والتمانع وما إليها" ما يجعلنا قادرين على الاستجابة لنداء الفطرة التي فطرنا عليها، والاستماع والاستجابة إلى نداءات ودعوات المرسلين فيتظافر القرآن والرسول - صلى الله عليه وآله وسلم - ومعه سائر المرسلين – من خارج، والفطرة الإنسانية من داخل لتحقيق الهداية والتزكية، وبناء العمران – الذي هو انعكاس للهداية والتزكية وروح العبادة على الكون والطبيعة المسخرة. وبذلك يتحول الإنسان إلى قائد لمسيرة التسبيح التي يمارسها كل شيء في الكون بالتوجيه التلقائي والذاتيّ عدا الإنسان الذي يمارس ذلك بحريَّته واختياره. (وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدَهِ وَلَكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ) (الإسراء: ٤٤)

فكيف نفقه ذلك التسبيح؟ نفقهه بالتدبُّر والتفكر والتعقل والتذكر في خلق السماوات والأرض (وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلاَّ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِن شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ) (الأنعام: ٣٨)

وحين نمارس قراءة القرآن بهذه المداخل سوف تقودنا بشكل مباشر إلى النظر إلى ما خلفها وما ترتبط به ليظهر لنا المدخل الخامس من مداخل القراءة.

٥. وهو مدخل الولوج إلى رحاب القرآن بمدخل العلاقات بين الله – تبارك وتعالى – والإنسان والكون المسخر. فحين نقول: "الله" فإننا نستحضر بذلك

علم الغيب كلّه وحين نقول: "الإنسان" فإننا ننبّه بذلك إلى كل ما يتعلق به ابتداءً من "عالم العهد الأول، أو عالم الذر" مروراً بعالم الخلق والإبراز. للوجود والأمر بالتصدي للمهمة، وانتهاءً بعالم المآل إلى الجنة أو النار. وحين نقول: "الكون" فإنَّنا نعنى به عالم الخلق أو الأشياء والسنن والقوانين الموجهة، والمسيِّرة له، وتنوع الخلق فيه: من حيوان وبحار وأنهار وشمس وقمر وموجودات ومنها الإنسان نفسه، وذلك يعني: أنَّنا نبحث عن العلاقات بين الله – تعالى – والإنسان والكون، وكيفية حدوث الفعل والانفعال أو ما يسمى "بالتفاعل" في كل ما قصه الله – تبارك وتعالى – في القرآن المجيد فنكتسب بذلك وعياً وقدرة نتمكن بهما من تدبُّر القرآن وتلاوته وترتيله، لنتعقل به أوضاعنا، وما نعايشه في مرحلتنا التي لا تعدو أن تكون حلقة من حلقات تاريخ أسرتنا البشرية الممتدة. ومدخل القيم العليا والعلاقات بين الخالق والمخلوق سوف يكونان خير رفيق لنا في الطواف في آيات القرآن المجيد. والله أعلم.

٦. المدخل السادس – مدخل "التصنيف الموضوعي"، وذلك بعد أن نداوم على قراءة القرآن، ونتدبر أهم الموضوعات التفصيلية التي تناولها، ونمرن أنفسنا على تحديد موضوعات مثل "الإيمان والكفر والشرك والنفاق والحق والباطل والصلاة والعلم والإصلاح والإفساد وما إليها" ثم نبدأ بجمع الآيات التي تتعلق – في نظرنا – بذلك الموضوع، باستقرائها وتتبعها في آيات القرآن – كلها – دون غفلة عن "وحدة القرآن البنائيّة" التي تستلزم أن نستحضر القرآن – كلّه – في دراسة أي موضوع؛ ثم نبدأ عمليات التدبُّر والتأمّل، ونحذف ونضيف إلى أن نطمئن إلى أن ما جمعناه من الآيات هو كل ما يتعلق بذلك الموضوع. على أن لا نتوقف عن التأمل والتدبر فيها والحذف والإضافة: فبعد فترة سنجد أنفسنا مشدودين إلى القرآن – كله – في كليته ووحدته البنائية، فيزداد فهمنا ووعينا بالقرآن المجيد عموماً. وهنا يمكن أن نستشهد بما نقل عن الإمام الشافعي – يرحمه الله – فقد عمل

الشافعي على جمع آيات الأحكام في القرآن المجيد، وله كتاب يحمل اسم "أحكام القرآن" جمعه البيهقي. وآيات الأحكام معدودة لدى الفقهاء فهي في تقديرات جمهرتهم لا تتجاوز خمسمائة آية، وبعضهم لا يجاوزون بها أربعين ومائتي آية.

لكن الإمام الشافعي بعد أن ركز على هذا النوع من الآيات وجد أن من المتعذر حصر الأحكام فيها. فأشار إلى أن في الأمثال أحكاماً كثيرة[1] بل يمكن القول: إن في القصص القرآني أحكاماً، فالحكم لا تستطيع استنباطه، والإلمام بجوانبه كلها بدون معرفة سياقه وعلاقاته – كلها. وقد نبهنا إلى تفاصيل مفيدة إن شاء الله في بحثنا في "الوحدة البنائية للقرآن المجيد". فارجع إليها فيه واربط بين ذلك وهذا المدخل.

٧. <u>المدخل السابع</u> – مدخل البحث في المناسبات. والمناسبات أو التناسب بين الآيات والسور علم دقيق وهام حاوله كثير من المتقدمين فقاربه بعضهم، وأعلن بعضهم العجز عنه، فتجاوزه إلى المداخل الأيسر.

ويقول الإمام الرازي (ت: ٦٠٦ هـ) "... من تأمل لطائف نظم السور، وبديع ترتيبها علم أن القرآن كما أنه معجز بحسب فصاحة ألفاظه وشرف معانيه، فهو –

---

[1] تشتمل الأمثال القرآنيَّة على أحكام وتشريعات، كما تشتمل على خلاصات التجارب والخبرات. وإن جاءت على غير ما عهد في آيات الأحكام والتشريع من أساليب ولهذا فقد عد الإمام الشافعيّ الأمثال القرآنيَّة مما يجب على المجتهد معرفته، فقال – وهو يبيِّن مؤهّلات المجتهد العلميَّة "... ثم معرفة ما ضرب فيه من الأمثال الدوال على طاعته، المثبتة لاجتناب معصيته ..."فجعلها بذلك جزءاً مما يجب على المجتهد معرفته من "علوم القرآن" كما في الإتقان (١٣١/٢). وذكر الماورديّ "... أن من أعظم علم القرآن علم أمثاله والناس في غفلة عنه ..." على ما في البرهان للزركشي (٤٨٦/١) والإتقان (١٣١/٢).

ونقل السيوطي عن الشيخ عزّ الدين قوله: "إنما ضرب الله الأمثال في القرآن تذكيراً ووعظاً، فما اشتمل منها على تفاوت في الثواب، أو على إحباط عمل، أو على مدح، أو ذم، أو نحوه، فإنّه يدلُّ على الأحكام" (الإتقان: ١٣١/٢).

وقال ابن خلّاد الرامهرمزي: "... أمثال التنزيل التي وعد الله – عزَّ وجلّ – بها وأوعد وأحل وحرَّم، ورجّى وخوف، وقرع بها المشركين، وجعلها موعظة وتذكيراً، ودلَّ على قدرته مشاهدةً وعياناً، وعاجلاً وآجلاً، ولله المثل الأعلى في السماوات والأرض وهو العزيز الحكيم ..." على ما في مقدمة أمثال الحديث للرامهرمزي، وراجع الأمثال في القرآن الكريم/ د. محمد جابر الفياض. - ص ٢٦٦

أيضاً – معجز بسبب ترتيبه ونظم آياته ..." ويقول – أيضاً – : "أكثـــر لطـــائف القرآن مودعة في الترتيبات والروابط ..."[1].

ويقول القاضي أبو بكر بن العربيّ من علماء القرن الخامس(ت:): "... ارتبـــاط آي القرآن بعضها ببعض حتى تكون كالكلمة الواحدة متسقة المعـــاني، منتظمـــة المباني علم عظيم ..."[2].

ويقول برهان الدين البقاعي صاحب أشهر كتاب في الموضوع "نظم الـــدرر فـــي بيان تناسب الآيات والسور": "إن السورة وإن تعددت قضاياها في كلام واحد يتعلق آخره بأوله وأوله بآخره، ويترامى بجملته إلى غرض واحد، كما تتعلـــق الجمـــل بعضها ببعض في القضية الواحدة. ولا غنى لمتفهم نظم السورة عن استيفاء النظر في جميعها، كما لا غنى عن ذلك في أجزاء القضية الواحدة ..." يريـــد القـــضية المنطقية وهي عبارة عن جملة واحدة.

فحين نعمد إلى القراءة المتدبرة بهذا المدخل فإن من الممكن التدرب عليه بأن نأخذ سورة من تلك السور التي تعددت نجومها، وتنوعت موضوعاتها، وكثرت معانيها. ثم نتتبع آياتها آية بعد آية، ومجموعة بعد أخرى ثم نتفكر في بـــدايتها ومـــسيرتها وانسيابها حتى بلغت خاتمتها. ونعود من الخاتمة إلى البداية، وننظر في العلاقـــات بين اسمها وتسويرها لتكون سورة مستقلة، ثم علاقتها بمـــا قبلهـــا ومـــا بعـــدها فسنكتشف شبكة من العلاقات بينها تجعلنا نشعر أنها نزلت حين نزلت، وكأنها نجم واحد، أو أنها نزلت مرة واحدة.

هذه المداخل هي مداخل مقترحة تمثِّل حصيلة معايشة للقرآن، ومحاولة للاقتـــراب منه – وليست – بحال من الأحوال – نهاية المداخل المطلوبـــة لمقاربـــة القـــرآن المجيد، وهي قابلة للإنماء والإضافة، فالقرآن لا تنقضي عجائبه، ولا يخلـــق مـــن كثرة الرد.



---

[1] راجع "الوحدة البنائية" مصدر سابق.
[2] المرجع نفسه

مداخل قراءة الكون:

للكون مداخل للقراءة، كما كان للوحي مداخل للقراءة. ومداخل "قــراءة الكــون" متعددة كذلك، منها:

١. مدخل الخلق:

هذا المدخل يقتضي الإيمان التام واليقين الخالص بأن الكون – كلَّه – مخلــوق لله – تعالى – عن إرادته صدر، وبكلماته تكَّون، وبتقديره تــشيّأ: فــصار شــيئاً مذكوراً.

وأنَّه – سبحانه – ما خلقه إلا بالحق، وأن كل شيء فيه بقدر ومقــدار، وتقــدير محدَّد، وأنه سائر إلى غاية معَّينة، فلا مجال للقول بالمصادفة أو العبث أو العدم أو اللاغاية!! وأنَّ كل شيء فيه له علة، كما أنَّ له غاية. والقيام بمهمة الاســتخلاف، والوفاء بالعهد الإلهي، والقيام بحق الأمانة، والنجاح في اختبار الابتلاء، والخروج من عهدة التكليف، كل أولئك أمور يتوقف القيام بها علــى إدراك هــذه الأمــور، والوعي بها وعياً يجعل منها آيات للحق – تبارك وتعالى – موصِّلة إليه، منبِّهــة إلى صفات الكمال التي يتصف بها، موجهة للإيمان به، وإدراك عظمتــه، وفهــم حسن تدبيره وحكمته وإعجاز تقديره.

والقرآن المجيد - وهو يدعونا للنظر في الخلق والطبيعة – لا يرشــح نفــسه مصدراً للعلم الطبيعي، ولكنه يوجه إلى ذلك للأخذ بيد الإنسان للوصول إلى معرفة الخالق وإدراك وحدانّيته، واليقين باتصافه بكل صفات الكمال، وتنزُّهه عــن كــل صفات النقصان، وفي ذلك – كله – بناء لطاقات الإنسان الإدراكية وقابليته العقلية والفكرية، واستعداداته المعرفية، وتحريك لسائر قوى الوعي فيه، وتأهيله للمهــام الكبرى التي أوكلت إليه. وإذا كان الوحي يعينه على تحقيق التزكية بكونهــا ذات أولوية كبرى بعد التوحيد وبه ومعه، فإن النظر في الخلق والطبيعة يعينــه علــى كسب الأهليَّة لتحقيق العمران، والنظر في الخلق والطبيعة، وهي مسخرة خاضعة لله – تعالى – وبسننه وقوانينه تتحرك أو يتشكَّل كل شيء فيهــا فلــيس الإنــسان

خاضعاً لها، وليس له أن يغتر بتسخيرها له فيستكبر، ويقول: (إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِندِي) (القصص:٧٨) أو يحسب نفسه مقهوراً لها فيشرك، أو قاهراً لها بنفسه فيلحد، ولكنه يراها مسخَّرة لله خاضعة له. وأن ربه وربها واحد أوكل إلى هذا الإنسان مهمة الخلافة فيها، واستثمارها وإعمارها.

ولهذا المدخل الهام مداخل فرعية يرشد الوحي إليها، منها:

<u>معرفة مبدأ الخلق</u>، وكيفية تكوين الموجودات وأهم وظائفها: (أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاء كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ) (الأنبياء: ٣٠). (أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا {١٥/٧١} وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا) (نوح: ١٥ – ١٦) كما يربط بينه وبينها: (وَاللَّهُ أَنبَتَكُم مِّنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا {١٧/٧١} ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا) (نوح:١٧ - ١٨). وهذا المدخل يؤدي – أيضاً - إلى:

<u>كشف النظام الدقيق للكون وغائيَّة الخلق:</u>

(وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِالْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّوَرِ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ) (الأنعام: ٧٣)

(وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاء وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ {١٦/٢١} لَوْ أَرَدْنَا أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لَّاتَّخَذْنَاهُ مِن لَّدُنَّا إِن كُنَّا فَاعِلِينَ) (الأنبياء: ١٦ - ١٧)

والإنسان مطالب أن يتفكَّر في خلق السماوات والأرض ليدرك ذلك – كلَّه – ويكشف عمّا في الكون والخلق من دقّة ونظام، وسنن حاكمة، وغايات وعِلَل ويتبيَّن وحدانية الله – تعالى – ويبني تصوراته عن الكون والحياة والإنسان انطلاقاً من ذلك. فيتمكن من تحقيق العمران. وإلاّ كانت الحياة الدنيا بالنسبة إليه لهواً ولعباً، وعبثاً يتنزه الخالق عنه: (أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ) (المؤمنون: ١١٥).

كما يكتشف الإنسان بتدبُّر هذا المدخل أنَّ هذا النظام الدقيق المحكم لا يعني أن الخلق خالد، أو أنه مستمر دائم لا نهاية له، بل هو محكوم بأجل مسمى، فدقة

نظامه، والبدائع التي اشـتمل عليها، واتـساعه وعظـمته لـن تمنحـه صـفة الخـلود. (أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ بِلِقَاء رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ) (الروم: ٨)

وكونه سائراً إلى نهاية وأجل مسمّى لا يزيل عنه صفة الحق، الذي خُلق بـه وقام عليه. ولأنّ الإنسان جزء من الخلق وابن شرعيٌّ للطبيعة فلا ينبغـي لـه أن يغفل عن أنه يجري عليه ما يجري عليها: (إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ إِن فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُم بِبَالِغِيهِ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُـوَ الـسَّمِيعُ الْبَصِيرُ {٤٠/ ٥٦} لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِـنَّ أَكْثَـرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ) (غافر: ٥٦ – ٥٧). وهم إن علموا شيئاً وهم في حالـة كفـر بالوحي أو انفصال عنه فإنما (يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ) (الروم: ٧)

والتفكر في هذا المدخل وتدبُّره بعناية يؤدّي بالإنسان كذلك – إلى إدراك ذلـك التلازم العجيب الذي أوجده الخالق البارئ المصور – جل شأنه وعزّت قدرتـه – بين **العلم والإيمان**. وأن **العلم** حين ينفصل عن **الإيمان** يكون أحياناً ضرره أكبـر من نفعه: (وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ وَلَكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ) (الروم: ٥٦)

لقد عمل القرآن المجيد على بناء أمتن وأقوى وأفضل العلاقات بين الإنـسان والعالم المخلوق لله، والمسخر له لئلاّ يقع بينهما تنابذ أو تـصارع، أو علاقـات مضطربة فتضيع حِكم كثيرة قد لا تؤثر في تسخير الطبيعة أو الكـون الخاضـع لسنن لا تبديل لها، ولكنّها تحرم الإنسان من تلك المشاعر السامية – فـي الحـد الأدنى – وهي المشاعر التي تجعله يحسُّ بحبٍّ واحترام بيئته، وما فيها ومن فيها فيحقق السلام النفسيّ والذاتيّ، ويحقق السلام مع كل ما حوله ويدرك قدر نعم الله التي لا تحصى عليه حين سخَّر له كل ما حوله، وعلّمه كيف يستفيد به، ويستخلف فيه ويعمره، ويقيم الحق والعدل فيه، ويقوده في قافلة العبادة والتسبيح للذي خلـق سبحانه.

فالإنسان لا يحتاج لقهر الطبيعة والخلق، وكيف يحتاج لذلك والكلّ مسخرٌ لــه بتسخير الله تعالى، وهو الذي مكَّنه من ذلك – كلّه - (وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ) (الجاثية: ١٣).

(وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَــا مَعَــايِشَ قَلِــيلاً مَّــا تَــشْكُرُونَ) (الأعراف:١٠)، فالإنسان مطالب باستثمار ذلك كله والاستفادة به، وإن هــو لــم يفعل فإنه يكون قد أخلَّ بوظيفته في الكون، فالعمران من العبادة وأيّ جــزء مــن أجزاء الطبيعة يُهمل، فذلك يعني أنه ميّت أو مقتول. (وَآيَةٌ لَّهُمُ الْــأَرْضُ الْمَيْتَــةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ) (يس: ٣٣) ولذلك وضع الفقهاء باباً في الفقه أطلقوا عليه "إحياء الموات" أي الأراضي المهملة التي لا تــزرع ولا يبنــى عليها، ولا تستثمر.

وإن القرآن المجيد قد أقام هذه العلاقات الودِّيَّة بين الإنسان وعناصر الكــون كلِّها – ولم يقصر ذلك على البيئة المحيطة به – وحدها – أو البيئة المباشرة، بــل تعدّى ذلك إلى الشمس والقمر والنجوم (... وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا) (نوح: ١٦) (وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُواْ بِهَا فِي ظُلُمَــاتِ الْبَــرِّ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ) (الأنعام: ٩٧).

والقرآن ينبِّه هذا الإنسان المستخلَفَ المسؤول عن العمران، والتعبُّد لله – تعــالى - به إلى أنّ عليه أن يستعمل سائر إمكاناته الذاتية، والطاقات التي زوّده الله – تعالى – بها لبناء علاقاته بالكون بالشكل المناسب: (وَاللّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لاَ تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ الْسَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) (الرعــد: ٧٨) فالإنسان في حاجة ماسَّة وضرورية إلى هذه الأدوات والقوى. ولكي يشحذ هــذه القوى، ويضاعف طاقاتها هو في حاجة إلى النظر في الأرض والكون فيكون النفع بينهما متبادلاً فالنظر والمشاهدة والتدبر والتفكر والتعقل تُمكِّن الإنسان من حــسن استثمار الكون، وينمِّي طاقاته. ونظره في الكون يعود على هذه الوسائل والأدوات بطاقات مضاعفة. وتعطيلها عن ذلك يصيبها بالكسل والفتور. أو يؤدي بها إلــى الانحراف.

٢. مدخل العناية:

هذا المدخل من مداخل قراءة الكون لا يبعد كثيراً عن "مدخل الخلق"، وإذا كان مدخل الخلق يقودنا إلى النظر في الخلق كيف "بدأ الله الخلق"، وإدراك الغاية منه وسيرورته وما سينتهي إليه: فإن مدخل "العناية" يؤدي بنا إلى النظر في نظام الكون الدقيق، واكتشاف بدائع الصنع الإلهي فيه، والقوانين والسنن التي لا تبديل لها، ويوضّح في الوقت نفسه الرعاية الإلهية للإنسان بهذه العناية. وهذا النوع من النظر يربّي في الإنسان العقل، ويدرِّبه على النظر العقليّ في كل ما حوله، ويعلمه كيف يدرك المقاصد والكليَّات والحكم والغايات من مداركها وبوسائلها، فيؤمن بربه، ويثق في نفسه. ويدرك أن الكون ليس مركَّباً من عناصر مشتّتة، أو أجزاء منفصلة، بل يراها في ترابطها الدقيق، وانتظامها المتماسك. فذلك هو الذي يعود على الإنسان "بالرؤية الكلية" للكون والإنسان والحياة. ولقد أجهد الفلاسفة والمدارس الفلسفية أنفسهم عبر التاريخ، وما يزال الكثيرون منهم يسعون إلى معرفة المنهج أو الكيفية التي يمكن بمقتضاها إرجاع سائر عناصر الكون إلى أصل واحد. والوصول إلى منهج أو نظام معرفيّ أو نموذج معرفيّ يمكّن من تفسير الظواهر الكونيّة والطبيعيّة به بشكل عام شامل. إذ لا شك أن كثيراً من الظواهر الطبيعيَّة ما يزال العلماء الماديُّون – خاصَّة – يتخبَّطون في تفسيرها، ويقلّبون أفئدتهم وأبصارهم فيها، فلا تعود عليهم بالكثير. ولعل السبب الأول لذلك يكمن في عدم إلتفات هؤلاء العلماء الماديِّين إلى ما وراء تلك الظواهر من نظام دقيق، وعناية إلهية فائقة، فتنحصر أنظارهم في الظواهر الحسِّيَّة – التي تجعلهم مقيَّدين "بالجدل بين عناصر الطبيعة الماديَّة". أما لطف التدبير، ووحدة نظامه فإنه لا يُدركُ إذا لم يؤمن العالِم الباحث بوجود المدبِّر الواحد، وعنايته وحكمته، ومطلق قدرته، فذلك هو الذي يعصم الباحث من التيه، والوقوع في الخطأ. ويضرب الله – تبارك وتعالى – للبشرية مثلاً بأبي الأنبياء إبراهيم - عليه السلام - حيث نظر في مجموعة من الظواهر والموجودات الكونيَّة باحثاً متأملاً ليحدد موقع كل من تلك

الظواهر منه من ناحية، ويحدِّد لنفسه موقفاً منها يقول الله – تعالى – : [فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لا أُحِبُّ الآفِلِينَ {٧٦/٦} فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لأكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ {٧٧/٦} فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَآ أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ {٧٨/٦} إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيفاً وَمَا أَنَاْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ] (الأنعام: ٧٦ – ٧٩). فسيدنا إبراهيم كانت لديه "إشكالية أو أزمة" برزت وهو يشاهد قومه يعبدون أصناماً لهم يصنعها أبوه، ويبيعها عليهم، فأراد لتلك الأزمة المؤرقة حلاً. توجه بالسؤال إلى أبيه "آزر" صانع الأصنام فقال له ولقومه: [... مَا تَعْبُدُونَ {٧٠/٢٦} قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ {٧١/٢٦} قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ {٧٢/٢٦} أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ] (الشعراء: ٦٩ – ٧٤). فلم يكن لديهم جواب شاف أو مقنع غير الحجة المفلوجة المكررة التي لا تقنع أحداً – تقليد الآباء – [قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ] (الشعراء: ٧٤) وهنا يتجه إبراهيم – بتوفيق من الله إلى النظر في ملكوت السماوات والأرض ليقوده إلى الدواء الشافي من تلك الأزمة – الإشكاليَّة.

لقد جزَّء إبراهيم سؤال الأزمة لديه إلى أجزاء عديدة أو أسئلة فرعيَّة متعدَّدة. ففي الكواكب نظر في ظاهرتي الأفول – الغياب والنقص – بعد البزوغ، والإشعاع بالنور، وأدرك أن الأفول والنقص والغياب لا يمكن أن يتصف الإله بشيء منها، إذ كيف يدبِّر مخلوقاته وهو بهذه الصفات؟، ومن ذا الذي يقوم بالعناية بها إذا غاب؟. فكانت تلك أسئلته في ملكوت السماوات حتى إذا التفت إلى ملكوت الأرض ساءل قومه وأباه بعد توجيه سؤاله الأساسيّ والمحوريّ: [مَا تَعْبُدُونَ {٧٠/٢٦} قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ {٧١/٢٦} قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ {٧٢/٢٦} أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ {٧٣/٢٦} قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ {٧٤/٢٦} قَالَ أَفَرَأَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ {٧٥/٢٦} أَنتُمْ وَآبَاؤُكُمُ الْأَقْدَمُونَ {٧٦/٢٦} فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ {٧٧/٢٦} الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ {٧٨/٢٦} وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ {٧٩/٢٦} وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ {٨٠/٢٦} وَالَّذِي يُمِيتُنِي

ثُمَّ يُحْيِينِ {٨١/٢٦} وَالَّذِي أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ {٨٢/٢٦} رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ {٨٣/٢٦} وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ {٨٤/٢٦} وَاجْعَلْنِي مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ {٨٥/٢٦} وَاغْفِرْ لِأَبِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ {٨٦/٢٦} وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ {٨٧/٢٦} يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ {٨٨/٢٦} إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ] (الشعراء: ٦٩ – ٨٩).

هنا وبعد أن أجهد نفسه في النظر العقلي في ملكوت السماوات والأرض [وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ] (الأنعام: ٧٥) تبرأ من آلهة أبيه وقومه – كلها – ووجَّه وجهه للذي فطر السماوات والأرض مائلاً عن كل ما كان متوافراً من الأديان إلى "الإسلام" فأسلم وجهه لله رب العالمين، فبلغ بذلك توحيد الألوهيَّة وتوحيد الربوبيَّة. ومدخل العناية إن عرفه الباحثون حق المعرفة، وتبَّينوا معالم النظام البديع المعجز الذي يسيِّر الله – تعالى – الكون بمقتضاه فإنَّ ذلك سوف يوجد فيهم أقوى الدوافع للبحث الجاد المتواصل للكشف عن الكون، والبحث في الطبيعة، وبلوغ العلاقات والقوانين التي يقوم عليها النظام الكونيُّ.

والباحث المؤمن حين يعجز عن اكتشاف حلقة من حلقات ذلك النظام في ظاهرة من الظواهر فإنه لن يتهم المنهج العلمي الذي استخدمه، ولن ينفي وجود النظام لمجرد أنّه لم يضع يده عليه في تلك الظاهرة، فهو يدرك أن "عدم الوجدان لا يدل على عدم الوجود"، ولذلك فإن الباحث المؤمن سوف يعاود البحث مرة أخرى، وثانية وثالثة، وينسب القصور إلى نفسه، أو طريقته في استعمال المنهج. ولن يلجأ إلى القول بالاحتماليَّة، أو المصادفة، أو نفي النظام.

٣. مدخل النظر في الواقع الموضوعي الخارجي:

إن للأشياء وجوداً ذهنيّاً ووجوداً واقعيّاً، فالوجود الذهنيُّ عبارة عن تلك الصور الذهنيَّة التي ترسمها المخيِّلة الإنسانيَّة للأشياء، فإذا خرجنا بها إلى الواقع فإما أن نجده مطابقاً لما ارتسم في أذهاننا. فيصدق الواقع الخارجيُّ "الصورة

الذهنيَّة"، فيتضح لنا آنذاك – أن لتلك الصورة الذهنية تحقُّقاً عينيّاً. ولو أنَّ الواقع الخارجيَّ لم يصادق على تلك الصورة الذهنيَّة، فذلك يعني أن تلك الصورة غير دقيقة، أو هي مجرد صورة متخيَّلة لا سند لها من الواقع. [قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ] (العنكبوت: ٢٠)

[أَوَلَمْ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللّهُ مِن شَيْءٍ] (الأعراف: ١٨٥) فقضية الجمع بين القراءتين مسألة منهجية في المعرفة وتقود إلى نتيجة حضارية، فالذي يجمع بين القراءتين لا يستغنى عن الله لأنه يدرك دوماً افتقاره لله – سبحانه وتعالى؟ فلا يستبد ولا يبتغي علواً في الأرض ولا فساداً ولا يطغى، ولا يلحد ولا يدمر الحياة والأحياء، ولا يعيث في الأرض فساداً.

* * *

كيفية الجمع بين القراءتين:

إن المدخل الأساسي للجمع بين القراءتين يبدأ باكتشاف العلاقة المنهجية بين الناظم المنهجي لآيات القرآن الذي أعطى القرآن "وحدته البنائية" وإعجاز "نظمه"، وبين السنن والقوانين المبثوثة في الوجود والمهيمنة على حركته للكشف عن الناظم المنهجي الذي يربط بينهما. فالقرآن وحي إلهيٌّ نتعقل به ونتفهم به هذا الوجود انطلاقاً من أن القرآن مطلق ومحيط وشامل، وبقدر ما تتسع معرفتنا للاثنين معاً بقدر ما تتكون لدينا القدرة على "الجمع بين القراءتين"، واكتشاف التداخل المنهجي بين منهجي الوحي والكون، فمنهجية القرآن موازية لمنهجية الوجود، ولا ينبغي الاقتصار على قول ذلك نظريّاً أو إدراجه في دائرة "فضائل القرآن"، ولكن ينبغي اكتشاف ذلك تطبيقيّاً. فالقول النظريّ قد لا يتجاوز حالة تبشير بفَرَضيَّة قد تكون غير صحيحة أو مما يمكن الطعن فيه، ولهذا يكون التحدي الأول والأهم للمسلم المعاصر هو الكشف عن التداخل المنهجيّ بالجمع بين القراءتين: أي بين الوحي الإلهي والعلوم الطبيعيَّة والإنسانيَّة القائمة على السنن الإلهية في الكون والحياة والإنسان. أما الحديث عن عظمة القرآن وفضائله، فإن

القرآن عظيم حقاً ومعجز فعلاً وذو فضائل تجل عن الحصر، وقد كتب الناس عن عظمته وإعجازه وفضائله آلاف الصفحات، بل ملايينها، لكن تلك الكتابـــات لـــم تستطع أن تكشف للناس عن منهجيَّة المستوعبة للكون وحركته، والمتجاوزة لها، والقادرة على إقامته على قواعد الهدى ودين الحق. كما لم تؤد إلى الكـــشف عـــن التداخل المنهجيّ بين قراءة القرآن في وحدته البنائيّة، وقراءة الكون فـــي وحدتـــه القائمة على سننه وقوانينه. فقد بقيت آيات كريمة كثيرة ومقولات دينيَّـــة عديـــدة عرضة لتأويلات شتى. وفي كثير من تلك التأويلات تبدو الإسقاطات الإســـرائيلية ونحوها واضحة [1]. كذلك بقيت في المعارف الإنسانية والاجتماعية الحديثـــة، بـــل

---

[1] الإسرائيليات قد تداخلت مع جوانب كثيرة، من أبرزها التفسير، وقد جرت محاولات كثيرة ولا تزال تجري لفصل تلك الإسرائيليات عن تراثنا التفسيري، كتب في ذلك الشيخ محمد حسين الذهبي وأبو شـــهبة ورمـــزي نعناعة وآخرون كما أعدت دراسات جامعيّة في "إسرائيليات تفسير الطبري" وغيره. ولم تفلح تلك المحاولات كثيراً في وضع خطوط فاصلة بين الإسرائيليات وغيرها في التراث، وذلك لأن التراث الإسرائيلي كان يشكل جزءاً أساسياً من الثقافة الشفويّة في جزيرة العرب عند البعثة. ولأن كثيراً من علماء بني اسرائيل قد أســـلموا ودخلت معهم ثقافتهم التي كانوا يحملونها، وانتقلت إلى المعارف الإسلاميّة، ودونت في عصر التدوين علـــى أنّها جزء من تلك المعارف. وقد أورد ابن خلدون في مقدمته تعليلاً وتحليلاً جيـــداً لأســـباب ذلـــك التـــداخل وطبيعته من المفيد ايراده. يقول ابن خلدون: "إن العرب لم يكونوا أهل كتاب ولا علم وإنمـــا غلبـــت علـــيهم البداوة والأمية، وإذا تشوفوا إلى معرفة شيء من أسباب المكونات وبدء الخليقة وأســـرار الوجـــود، فإنمـــا يسألون عنه أهل الكتاب قبلهم ويستفيدونه منهم، وهم أهل التوراة من اليهود ومن تبع دينهم مـــن النـــصارى. وأهل التوراة الذين بين العرب يومئذ بادية مثلهم ولا يعرفون من ذلك إلا ما تعرفه العامة من أهـــل الكتـــاب، ومعظمهم من حمير الذين أخذوا بدين اليهودية فلما أسلموا بقوا على ما كان عندهم! مما لا تعلق له بالأحكـــام الشرعية التي يحتاطون لها مثل بدء الخليقة وما يرجع إلى الحدثان والملاحم وأمثال ذلك. وهؤلاء مثل كعـــب الأحبار ووهب بن منبه وعبد الله بن سلام وأمثالهم، فامتلأت التفاسير من المنقولات عنهم. وتساهل المفسرون في مثل ذلك، وأصلها كما قلنا عن أهل التوراة الذين كانوا يسكنون البادية ولا تحقيق عندهم بمعرفة ما ينقلونه من ذلك إلا أنه بعد صيتهم، وعظمة أقدارهم لما كانوا عليه من المقامات في الدين والملة فتلقيت بالقبول مـــن يومئذ".

كما لخص محمد عزة دروزة – رحمه الله – روايات كثيرة عن مختلف المصادر العربية القديمة التي عززتها روايات الآخرين ومصادرهم، أن جماعات من بني إسرائيل قد جاءوا إلى مختلف المناطق الحجازية من أمـــد بعيد واستقر أكثرهم في يثرب في ناحيتها على طريق الشام، وكان بعض أفرادهم يتـــرددون علـــى مكـــة أو يقيمون فيها. وقد تعلموا اللغة العربية واشتركوا في حياة العرب وتقاليدهم وصار لهم فيهم أنـــصار وحلفـــاء ومحبون ومراكز قوى، وأنهم نشروا عن أنفسهم علماً واسعاً في الأديان والشرائع وأخبار الأمم وسنن الكون=

وفي العلوم الطبيعية المعاصرة كذلك أبعاد غائبة، وأسئلة كثيرة حيرى لا تجد من مدارس تلك العلوم المختلفة إجابات شافية، لأنها لم تكتشف ذلك التداخل المنهجي بين القراءتين إلا في حدود جزئية تمثلت في محاولات انتقائية يغلب على بعضها التلفيق الذي يجعلها تبدو مفتعلة إلى حد كبير كتلك المحاولات التي تبدو فيما عرف مؤخراً بـ "الإعجاز العلمي"[1].

=والدين السماوي الذي يدينون به والكتاب المنسوب إلى الله ورسله الذي يتداولونه، وكانوا يزهون بذلك على العرب ويفخرون ويستفتحون عليهم بل ويدلسون في كل ذلك عليهم، ويظهرون غروراً وخيلاء وتبجحاً بما عندهم من العلم وما يصدر عنهم من معارف ولو كان فيها زيف وتدليس، ويزعمون أنهم أولياء الله وأحباؤه وأصحاب الحظوة لديه، وأن ذلك قد أثر على العرب تأثيراً غير يسير فكان لليهود بسببه مكانة ممتازة صاروا بها مرشدين وقضاة، وأنه كان لهم كيان طائفي ديني ولهم معابدهم ومدارسهم وأحبارهم وربانيوهم. وكان لهؤلاء تأثير كبير على أبناء الطائفة كما كانوا قضاتهم، وكان منهم من يتخذ منصبه ونفوذه وسيلة إلى إبتزاز المال بالباطل، وكانوا يتعاطون السحر والشعوذة أيضاً، وكانوا جاليات كثيرة العدد منهم بل أكثرهم استقروا في أحياء خاصة لهم في يثرب المدينة وحصنّوها كذلك بالقلاع والحصون والأسوار، ومنهم من سكن في مزارع وقرى خارج المدينة منها القريب ومنها البعيد وحصنّوها بالقلاع والحصون والأسوار، وكانوا يقتنون مختلف أنواع السلاح وبكمّيّات كبيرة من سيوف ورماح وقِسِيّ ونبال وحراب ودروع. ولم يكونوا متحدين في كيان سياسي وعسكري وديني، بل كانوا فرقاً وأحزاباً، وكانوا على خلاف ونزاع وعداء. وكان في المدينة قبيلتان عربيتان هما الأوس والخزرج وكان بينهما نزاع وعداء وحروب. فكان فريق من اليهود متحالفاً مع إحداهما وفريق آخر مع الأخرى، وكان كل فريق يقاتل مع حليفه الفريق الآخر مع حليفه من اليهود، ومع ذلك فقد كان طابع الذلة والمسكنة والجبن والغربة والفزع يطبعهم جميعاً فكانت محالفتهم مع العرب بالإضافة إلى حصونهم وقلاعهم وسلاحهم وسيلتهم إلى الاستمساك والبقاء، وكانوا لأجل ذلك يحرصون على أن يبقى النزاع والعداء قائماً بين القبيلتين العربيتين، وكانت لهم حقول ومزارع وبساتين وأموال وأملاك، وكانوا يشتغلون بالتجارة والصناعة والربا فكان كثير منهم نتيجة لذلك أغنياء وأصحاب ثروات، وكان ذلك يساعدهم على النفوذ والتأثير بالعرب أيضاً.

راجع **مقدمة ابن خلدون:** (ج٣ ص ٩٣٥ - ٩٣٦)/ تأليف عبد الرحمن بن محمد بن خلدون؛ تحقيق د. علي عبد الواحد وافي. - نهضة مصر، ٢٠٠٤. وراجع "القرآن والمبشرون"، و كتابنا **"اشكالية الردة"** (٣٤ - ٣٦) ط.دار الشروق الدولية بالقاهرة.

[1] الإعجاز العلمي كان قد بدأه – فيما نعلم – الإمام فخر الدين الرازي بتفسيره **"مفاتيح الغيب"** أو **التفسير الكبير**، ولكنه شاع – مؤخراً – وانتشر بين المتأخرين وقامت على أساس من خدمته مؤسّسات كثيرة، وكتب فيه كاتبون. ومع اقرارنا بفوائده في تعزيز إيمان بعض من استولت عليهم ثقافة العصر، وصار اسقاط ثقافة العصر على القرآن، وتعزيز موقعه بها مريحاً لهم، ومخرجاً لهم من الحيرة والتردد بين القرآن وثقافة العصر فإنّنا نربأ بالقرآن أن يدور حول ثقافة العصر القلقة المترددة، وعلومها المتذبذبة بين اليقينية والنسبيّة=

فتأكيدنا الدائم على ضرورة وجوب "الجمع بين القراءتين"، واعتبار ذلك شرطاً مسبقاً للخروج من الأزمة الفكرية والمعرفية في مستوياتها العالمية والمحلية يحمل توكيداً على وجوب الالتفات إلى ذلك الارتباط المنهجي بين القرآن والكون والإنسان: فالقرآن ضم قواعد "الوحي الإلهي" الذي جاء به المرسلون كافة. والكون مجال كلمات الله ومظهر إرادته ومشيئته. والإنسان مستخلف للاهتداء بالوحي في إعمار الكون.وبذلك تكتمل حلقات التصور الإنساني، وتظهر سائر مقوماته، وتبرز علاقة الغيب بالطبيعة والإنسان. ويتخلص الإنسان من مأساة الفصام بين اللاهوت والناسوت والملكوت أو بين الدنيا والآخرة، أو بين التنزيل الإلهي والفلسفات الوضعية البشرية، وما جره ويجره ذلك الفصام النكد من مشكلات.

إن هذه المهمة لا يستطيع النهوض بها إلا من أوتي القرآن وحظا من العلوم والمعارف كافياً لاكتشاف ذلك التداخل المنهجي بين القرآن والكون والإنسان، ولذلك أرسيت قواعد "المنهج القرآني" على الدعائم التالية:

١. **إعادة بناء الرؤية الإسلامية المعرفية** القائمة على أركان العقيدة المحددة المحصورة كما جاء بها القرآن ومقومات وخصائص التصور الإسلامي السليم المنبثق عنها، ليتضح ما يمكن اعتباره "النظام المعرفي الإسلامي" القادر على الإجابة عن "الأسئلة الكلية النهائية" ومعالجة ما أسماه الفلاسفة المتقدمون "بالعقدة الكبرى"دون تجاوز شيء منها، وبناء قدرة ذاتية على النقد المعرفي الذي يمكن من الاستيعاب والتجاوز بشكل منهجي منضبط، في الوقت نفسه

=والاحتمالية إنّ قصارى ما يقدّمه ما يسمّى "بالإعجاز العلمي" أن يجعل القرآن مساوياً لثقافة العصر يحاول الحصول على تأييدها ومباركتها، وذلك سوف يخدم ثقافة العصر، ويروج لها بين المسلمين أكثر مما يخدم القرآن المجيد نفسه، وذلك يصادم القول "بإطلاقيَّة القرآن" ويسقط عليه نسبيَّة واحتماليَّة ثقافة العصر. وإذا كان العلم قد تحول في قرن واحد أو أكثر قليلاً من اليقينيَّة إلى الاحتماليّة والنسبيّة، ومن السببيّة الصلدة الجامدة إلى السببيَّة السائلة فما الذي سوف يحدث للقرآن وصفاته إن نحن أسقطنا ثقافة العصر عليه؟!

أما "الجمع بين القراءتين" و"منهجيَّة القرآن المعرفية" فإنها على النقيض من ذلك تجعل القرآن هو المصدّق على ثقافة العصر وعلومه ومناهجه، وهو الذي يقرّر صلاحيَّة الصالح منها، أو عدم صلاحيّته، وهو المهيمن عليها، والحاكم فيها. والله أعلم.

يعطي القدرة على التوليد المعرفي والمنهجي وبه يتحقق الإبداع. والتفسير المعرفي الذي لا يقوم على الإقناع والخطابة بل على المعرفة المنهجية التامة.

٢. **إعادة فحص وتشكيل وبناء قواعد المناهج الإسلامية** في مجالاتها المختلفة، وذلك بعرضها على "المنهجية المعرفية القرآنية" وتعديلها بنورها وعلى هدى منها. فإن أضراراً بالغة قد أصابت هذه المنهجية نتيجة القراءات المفردة والتجزيئيَّة التي جعلت القرآن عضين، وقرأت الوجود والإنسان في معزل عنه قديماً وحديثاً. وليتمكن العقل المسلم من تجاوز تلك الأمراض الفكريَّة التي شلّت فاعليَّته كالاضطراب في فهم علاقة الغيب بالشهادة، وعلاقة النقل والعقل، وعلاقة الأسباب بالمسببّات وغير ذلك من أمور.

٣. **بناء منهج للتعامل مع القرآن المجيد** ومعرفة مداخل قراءته من خلال هذه الرؤية المنهجية التحليليَّة، باعتبار القرآن مصدراً منشئاً للمنهج والعقيدة والشرعة والمعرفة ومحدّداً لمقوّمات الشهود الحضاريّ والعمرانيّ، وقد يقتضي ذلك إعادة بناء وتركيب نظريّات علوم القرآن المطلوبة لهذا الغرض، وتجاوز بعض الموروث في هذا المجال من تلك المعارف التي أدت دورها في خدمة النّص القرآنيّ، واستفاد بها العلماء في مراحل تأسيسها التاريخيّة، وبدأت الحاجة تبرز إلى البناء عليها تلبية لحاجات الأمة في حاضرها ومستقبلها. فالإنسان العربي قد فهم القرآن ضمن خصائص تكوينه الأولى عقلياً ونفسياً ولغويّاً، وكانت تلك الخصائص التكوينيَّة بسيطة في بداياتها ومحدودة اجتماعيّاً وفكريّاً يغلب أن تتم في إطار لغويّ ومعطيات نقليّة شفويَّة تجعل الاهتمام ينصب على صحة النقل، وتوثيق الرواية بالطرق المتعارف عليها لديه التي كانت تمثِّل أرقى المعارف في طرق التوثيق في عصره، وحين بدأ التدوين الرسمي للعلوم والمعارف النقلية الإسلاميَّة التي دارت حول النص القرآنيّ والحديث النبويّ في القرن الهجري الثاني برزت تلك الخصائص فيما كان قد دوِّن من علوم ومعارف. كما ظهرت إلى جانبها خصائص العقليّة البلاغيّة واللّغوية العربيّة في تلك المرحلة وما تقتضيه من اتجاه نحو التجزئة باتجاه

دراسة الجمل والتراكيب مع ملاحظة المفردات ابتداءاً، فلا غرابة أن يعـرَّف "التفسير" وهو أهم علوم الفهم: بأنه "معرفة أحوال كلمات القـرآن وألفاظـه"، فتلك كانت هي المنهجية السائدة، ولذلك اعتبر الفهم الذي تولد عنهـا مقبـولاً وكافياً في تلك المرحلة والمراحل التي تلتها.

أما في المرحلة العالمية الإنسانيَّة الراهنة حيث تـسيطر "عقليـة الإدراك الإنسانيّ المنهجي" للأمور، والبحث عن العلاقات الناظمة لهـا بطـرق تحليليَّـة ونقديَّة توظف الأطر والقواعد العلميَّة المختلفة، وتربطها بموضوعات حـضاريَّة متشعبة وعلاقات متنّوعة، فلا بد من إعادة النظر في كيفيّة إنماء وتجديـد علـوم وسائل فهم النص وخدمته وقراءته قراءة الجمع مع الكون، وإدراك أبعاد التداخل المنهجي بين القرآن والكون، وتنقية كثير من جوانب التفسير والتأويل والتـراث المتعلق بتلك المراحل، لإزالة آثار الربط الوثيق بالنسبي من خـلال الإسـقاطات الإسرائيلية وغيرها، والربط التام بأسباب النزول والمناسبات. ولكي تظهر وجوه التحدي بالقرآن العظيم، وجوانب إعجازه المؤثرة في هذا العصر ينبغي أن يضاف إليها – الآن – البعد الاجتماعي والمنهجي ليتحقق التحدي الدائم به، ويبرز إعجازه الذي يعتبر الدليل المنهجي الأول على إطلاقيته، وعدم نسبيته وبطبيعة الحال فإننا نتجاوز "الإعجاز العلمي"، لأنه لا يعدُو أن يكون اسقاطاً لثقافـة العـصر علـى القرآن، وذلك ليس من مقصودنا.

٤. **بناء منهج للتعامل مع السنة النبوية المطهرة** – أيضاً – من خلال تلـك الرؤية المنهجية، وباعتبار السنة النبويَّة المطهَّرة مـصدراً مبّينـاً للقـرآن المجيد وتطبيقاً لما جاء القرآن به، يحمـل تفاصـيل وتطبيقـات المـنهج والشرعة، وقواعد المعرفة ودعائم ومقومات الشهود الحضاريّ والعمرانيّ، فقد كانت مرحلة النبوة وعصر الصحابة مرحلة تعتمـد علـى الاتـصال المباشر برسول الله - صلى الله عليه وآله وسلّم - ومتابعته والتأسِّي بـه فيما يقول أو يفعل: "خذوا عني مناسككم"، "صلوا كما رأيتموني أصـلي"[1]،

[1] وحديث: "... لتأخذوا عنّي مناسككم فإنِي لا أدري لعليّ لا أحجُّ بعد حجتي هذه". **صحيح مسلم/** تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي.- دار احياء التراث، رقم الحديث (١٢٩٧)، (ج٢، ص ٩٤٣) تجده فيه بتمامه وبلفظ آخر.

والإتّباع والتأسّي يعتمدان على ملاحظة التحرُّك العمليّ والتطبيقيّ لرسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم – وسيرته في الواقع. فالرسول صلى الله عليه وآله وسلم – كان يجسّد بسلوكه القرآن في الواقع، ليحقّق الربط بين النص والحياة. فالتطبيق النبوي والبيان المحمدي كانا يضيّقان الشقة تماماً بين مكوّنات ومكنونات المنهج الإلهي القرآنيّ، وبين الواقع بمستوى ثقافة أهله وعقلياتهم وقدراتهم الفكريّة والمعرفيّة، وتصوراتهم السائدة آنذاك، وبشروط ذلك الواقع الاجتماعيّة والفكريّة في إطار ذلك السقف المعرفي والعلمي واللغويّ السائد فيه، ولذلك كان الرواة من الصحابة – رضوان الله عليهم – حريصين على أن لا تفوتهم أية جزئية تتعلق بحياة رسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم – لأن ذلك هو البديل الوحيد عن الوعي بالمنهج الناظم للقضايا المختلفة في عصرهم، واستخلاص منهج التطبيق منها لمن يأتي بعدهم، ولذلك اشتملت المرويّات على ذلك الكم الهائل من أقوال وأفعال وتقريرات رسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم – وتلقينا كل تلك التفاصيل التي تجعل سائر الأجيال التالية لجيل التلقي قادرة على أن تتأسى به، وتستخلص من ذلك منهجاً لاتباع القرآن وهي تتابع حركته اليومية - عليه الصلاة والسلام - في غدوه ورواحه وسلمه وحربه وتعليمه وقضائه وقيادته وفتواه، وممارساته الإنسانية بطريقة تكشف عن أسلوبه أو سنته - عليه الصلاة والسلام – أو منهجه في التعامل مع الواقع، وتكشف – إضافة إلى ذلك - عن خصائص الواقع الذي كان رسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم – يتعامل معه، ويمارس حياته فيه، ويتحرك في مجالاته. وهذا الواقع - لا شك - مغاير للواقع الذي نحياه في تركيبته وقضاياه ومشكلاته، وعلاقات أهله، مغايرة نوعيَّة. إضافة إلى المعايرة الكميَّة التي نسلّمها جميعاً.

وحديث: "... وصلوّا كما رأيتموني أصلّي ...". **صحيح البخاري**/ تحقيق مصطفى ديب.- دار ابن كثير واليمامة.- ط٣، ١٤٠٧هـ رقم الحديث فيه (٢٢٦)، ص ٦٠٥، فراجعه بتمامه فيه. وراجع **المحصول** للإمام الرازي بتحقيقنا (٢٤٣/٣ و٢٥٠).

لقد كان عليه الصلاة والسلام في سيرته وسنته يمثل تجسيداً للربط بين المنهج القرآني والواقع المعيش، ولذلك فإنَّ من الصعب فهم الكثير من القضايا في معزل عن فهم ذلك الواقع الذي كان عليه الصلاة والسلام يتحرك فيه، ويجاهد ويجتهد لتغييره وإصلاحه، ويكون ذلك الفهم بدراسة واقع عصر النبوة وما فيه إضافة إلى أسباب ورود الأحاديث. والأحداث التي ترتبط بها.

وهذه الأحاديث قد يحولها المختلفون إلى أقوال جزئية قد تدل على الشيء ونقيضه، وكأنها أقوال أئمة المذاهب المختلفة. إذا لم يلاحظ الرابط المنهجيّ بينها. لقد ارتبط المسلمون في مرحلة نزول القرآن بمفهوم التأسِّي والاهتداء والاتّباع والاقتداء ولم يؤمروا بالتقليد أبداً. وهذه المفاهيم الأربعة تشترك في أن تحقيقها يقتضي معرفة منهج المتأسَّى به – صلى الله عليه وآله وسلم -، ولذلك أمر رسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم – بالإهتداء بهدي من سبقه من الأنبياء والرسل. [أولئك الذين هدى اللّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ...] (الأنعام: ٩٠) أي بمنهجهم في الطاعة والدعوة والتبليغ والبيان والتطبيق، ولم يؤمر بتقليدهم. وقد مكن ذلك من اتخاذ الصحابة من رسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم – قدوة عملية جسدت لهم "المنهج" طبقاً لشروطهم الواقعيّة الحياتّية ويمكن ملاحظة ذلك في مواقف الشيخين – رضي الله عنهما – من السنن، وأم المؤمنين عائشة وبقية كبار قراء وفقهاء الصحابة . ومن الاتّباع والاقتداء والاهتداء نشأت اتجاهات التعامل مع "المأثور والمنقول"، فاهتدى بذلك من اهتدى، وزاغ عنه من زاغ، وأصاب الفهم الدقيق لذلك المأثور من وفقه الله، وجانبه من خذل. فبرزت لدى بعض من جاء بعدهم الحاجة للتخفيف من الآثار التي نجمت عن التعامل الجزئيّ مع القرآن المجيد، ورواية الأحاديث والسنن مجزأة وبعيدة عن سياقها. فلجأ – بعد ذلك - من لجأ إلى التأويل الباطنيّ والتفسير الرمزيّ والإشاريّ باعتباره مخرجاً من التقيُّد بحرفيَّة المأثور أو بجزئيَّاته. واستسهل البعض رد الأحاديث، ولكن بعض التأويلات ما زادت ذلك الأمر إلا اضطراباً. وثارت بعد ذلك مشكلات "حجيَّة السنة" جملة أو حجيّة بعض أنواعها وغير ذلك من قضايا لا نزال نعاني منها، ومن الآثار الفكرية

التي تخلفت عنها ولو أنه تم الكشف عن المنهج القرآني للتعامل مع ما قاله أو فعله أو أقره الرسول – صلى الله عليه وآله وسلم – لأمكن أن ينضبط التعامل مع ذلك المنقول – كله – ولردت الجزئيَّات إلى الكليّات، ولفهمت في إطار المنهج سائر القضايا الجزئيَّة، لأنّ المنهج كفيل بتبيُّن المقاصد، واتضاح الغايات.

إن العقلية المعاصرة عقلية تبحث – باستمرار - عن الناظم الموضوعيّ للأمور، وتحاول النفاذ إلى المنهجيّة الكاملة في الأبعاد المختلفة، هذه المنهجية تعتمد على التحليل المنهجي والتفكيك والنقد والتفسير وتجعلها الوسائل الأساسية والإطار الموضوعيَّ للحركة الفكريَّة في تعاملها مع النصوص والقضايا الكونّية والمحليّة. وبهذه المنهجيَّة يمكن النفاذ إلى مقاصد القرآن المجيد ومحاوره وقيمه العليا وكليَّاته، وتفهم السنن النبويّة فهماً منهجّياً يحمي من الوقوع في إطار ماضويّة سكونّية أو تأويلات باطنَّية، أو محاولات تجديديَّة تعمل على إحداث تعديلات أو تأويلات لتطبيقات الماضي لتعيد إنتاجها في الحاضر، فكأنَّها تعبير عن الماضي في ثوب جديد.

٥. **إعادة دراسة وفهم تراثنا الإسلامي** وقراءته قراءة نقديَّة تحليليّة معرفيّة، ومقايسته إلى منهج التصديق والهيمنة القرآنيَّين لنخرج من الدوائر الثلاث السائدة التي تحكم أساليب تعاملنا مع تراثنا – في الوقت الحاضر -: دائرة الرفض المطلق له، ودائرة القبول المطلق، ودائرة الانتقاء اللاّمنهجي. فهذه الدوائر الثلاث لا تمكننا من التواصل مع ما يجب التواصل معه من هذا التراث، كما لا تساعدنا في تحقيق القطيعة مع ما يجب إحداث القطيعة معه من ذلك.
٦. **بناء منهج للتعامل مع التراث الإنسانيّ المعاصر** – أيضاً – أو ما يعرف بـ "التراث الغربيّ" أو "الفكر الغربيّ" يخرج تعامل العقل المسلم معه من أساليب التعامل الحاليَّة التي تخلفت عن أطر ومحاولات المقاربات، ثم المقارنات، ثم المقابلات والمعارضات لتنتهي بالرفض

المطلق بروح مستعلية متجاهلة، أو القبول المطلق بروح مستلبة تماماً أو الانتقاء العشوائيّ المتحيّز له أو عليه.

فهذه الخطوات أو المحاور أو المهام الستة هي التي يمكن أن نطلق عليها خطوات باتجاه بناء "المنهج التوحيديّ للمعرفة". وذلك لأننا نجد أنفسنا لأول مرة أمام وضعيَّة عالميَّة تعمل على توظيف المعارف والعلوم واكتشافات العلوم ومنجزاتها توظيفاً يفصم العلاقة بين الخالق والكون والإنسان، وذلك بطرح تصورات حول الوجود يبدو بعضها نقيضاً للتصور الدينيّ عامَّة ولرؤيتنا المعرفيّة الإسلاميَّة خاصة، وسواء أكان ذلك حقيقة واقعة أم لم يكن فإن تجاوزه لن يكون بأن ننتقي من مقولاتنا التراثيَّة ونقاربها مع ما يتوافق مع تلك التصورات لنقول: إنَّها لدينا من قبل أو نرفضها وندمغها بالكفر، فمنطلقنا ومنذ الأساس تجاه العلوم الكونية ليس منطلقاً لاهوتياً أو كهنوتياً، وليس مطلوباً منا تقليد غيرنا، فإن تجربتهم في مواجهة العلم ومنجزاته تختلف عن تجربتنا، فلو كان القرآن لاهوتاً لما جازت فيه إلا قراءة البعد الواحد، أي القراءة الأولى فقط، وقد أمرنا بقراءتين، فنحن لم نصارع العلم، ولم نقابله بالرفض وقتل العلماء، لأننا ندرك أن الوحي في الكون الكتابي هو الوحي الذي في الكون الطبيعي، ولكل منهما أسلوب ومنهج قراءة يخصه، فإذا ظهرت انحرافات أسندت إلى العلم، فالمطلوب منا هو: تطهير العلم منها، وإذا ظهرت انحرافات في التفسير والتأويل، فيجب حماية النص منها. وهذا أساس "الجمع بين القراءتين". إذ لم يكن الدين من قبل يواجه سوى فكر عقلي وضعيّ مجرد ولم يكن مسلحاً بالعلم التطبيقي المعاصر ونتائجه التي أدت إلى قيام مذهبيات تجاوزت الوضعية التقليدية، فالمطلوب منا – كما أمرنا – استرجاع أو استرداد العلم من هذه المذهبيّات وتطهيره وإعادة توظيفه، وتنقية علوم ومعارف خدمة النص مما ألحق بها أو أضيف إليها، لتستقيم القراءة وتتحقق إمكانات "الجمع بين القراءتين".

* * *

- **المهمة قرآنية وكذلك عالمية:**

هذه المهمة – المتمثلة في بيان وإبراز منهجية القرآن المعرفية مهمة عالمية: تهم العالم كله، ويحتاجها العالم كله، وإن تصورها البعض مهمة في إطار الخصوصية الجغرافية والبشرية الإسلامية، فنحن – في عصرنا هذا – جزء متفاعل مع عالم اليوم، لا بغزوه الثقافي، فذاك أمر كان سائداً في القرنين – الثامن والتاسع عشر، ولكن تفاعلنا مع عالم اليوم يتم بغزو العلم التجريبي التطبيقي الذي يتطلب منا جهداً في بيان "منهجية القرآن المعرفية" يعادل جهد أسلافنا الكرام في مواجهة الغزو الفكري الذي دق أبوابنا مع الثورة الفرنسية، إذ كنا نواجه وقتها حالة عقلية مجردة، وبإمكانيات الوضعية العقلية المحدودة، أما الآن فإن المواجهة مع عقل علمي تجريبي فرض نفسه، وأعاد صياغة العلوم الطبيعية والعلوم الإنسانية كلها بمرجعية تجريبية، فإما أن نتحول إلى موقف الدفاع اللاهوتيّ العاجز – ومنا من يفعل ذلك – وإما أن نتحول إلى العمل على اختراق النسق الحضاري والثقافي المعاصر برؤية قرآنية كونية وجامعة!! فهذه العلوم التجريبية – كافة – لا زالت تتعثر في انطلاقاتها، مقيدة إلى الجزئيّ ولم تأخذ بعداً كونّياً كليّاً يحتويها، والبعد الكوني كامن في الوحي القرآن: [إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ إِن فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُم بِبَالِغِيهِ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ {٤٠/ ٥٦} لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ] (غافر: ٥٦ -٥٧).

ومع كون المهمة عالمية يتأكد – أيضاً – كونها قرآنية محضة، فأمام التدافع الديني، وإفلاس الأنساق الحضارية العالمية، وختم النبوة وبروز الأزمات الفكرية والمعرفية عالمياً ومحلياً، يتصدى القرآن وحده لخوض معركة شاملة باعتباره كتاب وحي مطلق، ليستمر في عطائه وكرمه بعد أن لم يعد لدى الآخرين ما يقدمونه، فهي معركة اختبار لنا في مدى فهمنا لمنهجية القرآن وقدرتنا على إصلاح وتسديد المسيرة الحضارية به، وإخراج مختلف مناهج العلوم من أزماتها عبر "الجمع بين القراءتين"، فالعلوم المعاصرة قد بلغت اليوم مراحل متقدمة جداً

في معرفة وإدراك الظواهر، فلم تعد الظواهر كما فهمها جمهـرة المتقـدمين أو تمثلها العالم القديم – تلك الظواهر الشاخصة والمجسدة أمـام العـين النـاظرة، فالحواس التي كانت هي وسيلة التعقل أفسحت المجـال الآن لحـواس مجهريـة والكترونيَّة أعطت مفاهيم جديدة للظاهرة، فإذا فهم الأقدمون الذرة باعتبارها حبـة رمل أو تراب مرئية – فإن الذرة اليوم ذرة مجهرية قد تحول معناها مما يبـصر إلى ما لا يبصر: [فَلَا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ {٣٨/٦٩} وَمَا لَا تُبْصِرُونَ] (الحاقـة: ٣٨ - ٣٩). وصارت تفجر وتحول إلى طاقة، وهنا نفهم دقـة القـرآن المجيـد وحكمته في قوله: [... إِنَّهَا إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ] (لقمان: ١٦).

وحيث فهم الأقدمون الأطوار التاريخيَّة فهماً تعاقبيّاً تكراريّاً قائماً على " كـر الجديدين" الليل والنهار، فإن الأطوار اليوم تتمثل في صيرورة وتغيُّرات كيفيَّـة لا مجرد تغيُّرات كميَّة فقط، وهذا هو الذي يوضح المراد بالسببيَّة العلمية المعاصرة التي تقوم على صيرورة وتحولات كيفيّة بالدرجة الأولى.

* * *

- **منهجية القرآن والمصير الإنساني:**

ليست قضية "منهجية القرآن" – إذاً – مجـرد ضـرورة أو حاجـة فلـسفية مجردة،لأنها وهي تقدم "الجمع بين القراءتين" تقدم دليل انقاذ الفكر البـشري مـن أزمة اللاهوت المستلب للإنسان والطبيعة، وهي في ذات الوقت تخرج من الإطار الوضعي كل ما يفصم العلم عن خالقه، فلكل من المنهجين آثاره وإسقاطاته علـى حياة الإنسان ونسقه الحضاري ومبادئه وتشريعاته، فمنهجية القرآن – عند التأمل الجاد لها – تعد أهم مقدمة "لبديل حضاري عالمي" لا يستهدف إصلاح أوضـاع المسلمين فقط، بل يستهدف إصلاح العالم كله، وهذه مهمة تتطلـب الكثيـر مـن البحوث المميِّزة الجادة في القرآن العظيم نفسه بفهم تحليلي جيـد ومـن منظـور علمي وعالميّ منهجيّ، وهذه هي غاية "منهجيَّة القرآن" الأساسية أن تجعـل مـن القرآن كتاب هداية، ودليل استخلاف، وسبيل خلاص، ومنطلق عمران.إنه بـدون فهم القرآن فهماً منهجياً في إطار وحدته وبنائيته الكاملة فهماً يتصل وينعكس على

فهمنا المنهجي المعاصر للظواهر الكونية، وسنن حركتها في "وحـدتها البنائيّـة" أيضاً، يستحيل تأسيس عمران سليم، فمنهجية العالم المعاصرة من شأنها أن تـرد الكثرة إلى الوحدة، وتحلل الظاهرة بحثاً عن العلاقات والسنن الكامنة فيها وفيما وراءها، ولا يكتفي بتفسيرها، والقرآن (المكنون المجيد الكريم) قابل في وحدته البنائية الكلية لهذا الفهم المنهجي، بحيث ندرس الكتاب الكريم بمثل المنهجية التي يدرس بها العلماء الكون العظيم، وكما ذكرت بعقلية علمية عالمية قـادرة فاعلة تستطيع إدراك التداخل المنهجي بين "منهجية القرآن"و "سنن ومنهجية الكون".

لا شك أن هناك أزمة لا بد للعالم من تجاوزها والتغلب عليها، وتبدو هذه الأزمة – بوضوح – في أن العقل العلمي العالمي المعاصر يرفض كل الكتب الدينية وإذ يتسامح مع بعض موضوعاتها، فإنه يصمم على رفض منهجية أي منها، ولا يدرك وحدة بنائية لأي منها، ولا يتفهم إطارها الغائيَّ مؤكداً على أن اختصاص أي كتاب دينيٍّ يجب أن يتوقف عند القناعات الإيمانيَّة وغيبيَّات ما وراء الطبيعة. وبالتالي فإن "الجمع بين القراءتين" – الغيبية والموضوعيّة – يبدو في نظر هؤلاء العلمويِّين مستحيلاً طالما أن هناك مقولات في الكتب الدينية تتعلق بالغيب الذي لا يمكن إدخاله المختبر والتجريب عليه، فإنه لا مجال لاتخاذ أي منها مصدراً من مصادر العلم، وإلا تم تزييف العلم أو هدم نظريَّاته فكل ما تشير إليه الكتب السماوية من كائنات غير مرئية أو بعض القصص التاريخي الذي لا يخضع لاختبارات العلم الوضعي المعاصر لا يملك أحد – في نظرهم – إعطاءه الصفة العلمية، ولذلك خرجت اليونسكو على العالم بتعريف للمعرفة ينص على أنها: "كل معلوم خضع للحس والتجربة".

إن هذا المنطلق يصدر عن فهم خاطئ لم يلاحظ قضية "الجمع بين القراءتين" فغاية "الجمع بين القراءتين" أن تنتهي إلى "فهم كونيّ" للوجود لا يقتصر على القراءة الثانية بمفردها، فلو اكتفينا بالقراءة الثانية فقط لبقينا في حدود الإطار الوضعي للفكر الإنساني ومقولاته حول الوجود، ولمارسنا مفهوماً يعتمد على تفكيك الظاهرة وتجزئتها انطلاقاً من "الجدلية العلمية المعاصرة واحتماليتها

ونسبيتها"، وهنا تبرز محاذير القراءة الثانية المنفردة، إذ أنها تنتهي بنا إلى فكـر وضعي جزئي لا إلى فكر كوني. أما حين نجمع القراءة الثانية مع الأولى، فإننـا نعرج من الجزئي الموضعي المحدود إلى الكلي في إطلاقه الكوني بما فيـه مـن ظواهر مرئية وغير مرئية فكل رفض لما يسمونه بالغيبيات والماورائيـات هـو رفض للقراءة الأولى، القراءة الكونية – في الوحي - باسم الله خالقاً، فالوحي كلي يستوعب الجزئي والقراءة الأولى تأخذ بعين الاعتبار كل الغيبيات والماورائيـات كجزء أساسي في المنهج لا باعتبارها مجرد مسلمات يجب الإيمان بها فقط، ولكن باعتبارها دليلاً على وجود كوني أكبر من معطيات القراءة الثانية، وهذا ما يعطي الخلق حقيقته الكونية المتكاملة، فاستبعاد الغيبيات هو استبعاد للقراءة الأولى التـي نجد دلالاتها على مستوى الوجود والخلق الكوني فهي ليست أساطير أولين كمـا يتوهم البعض، بل هي أمور ثابتة بأدلة كافية للتدليل على وجودها، وإذا لم نأخـذ بدلالاتها فذلك قد يردنا إلى القراءة الثانية الوضعية المتفردة، فلا يسمح لنـا ذلـك بمعرفة التاريخ الكوني في معناه الحقيقي. فالقراءة الأولى لا تطلب فقط منا الإيمان بوجود الله، ولكنها توجه إلى ألوهية الله وهيمنة كلماته علـى التكـوين الكـوني وارتباط المصير الإنساني بالتخليق الكوني كله، أي منهجيـة الخلـق المـستوعبة لمنهجية الأشياء الموضوعية التي نتعلمها بالقلم.

فنجمع بين منهجية الخلق (بالله خالقاً) ومنهجية الشيئية التي يرصدها ويسطرها (القلم) في قراءة كونية واحدة، فيتحقق الإطار الإيمـاني الـشامل وإلا صـارت المنهجية قراطيس انتقائية تميل بتحيز ذاتي إلى القراءة الثانية دون الأولى.

إن العالم ليخرج من أزمته الفكرية والحضارية يحتاج لإدراك البعـد الكـوني بمعناه الغيبي في تركيب الوجود ومصيره، وتلك هي مهمة القراءة الأولـى التـي تبدو للبعض قراءة يجب استبعادها من الدائرة العلمية، لأنها قراءة في الوحي الذي استبعدوه.وعلينا أن نرد الإنسانيَّة إليه رداً جميلاً.

المهمة كبيرة، والتحدي ضخم، متسع باتساع هذه الكونية، وبدايتها "الجمع بين القراءتين"وغايتها إنقاذ البشرية ليعم الخير، ويسود الحق وينتشر الهدى، ويـدخل

الناس في السلم كافة، طريق القرآن. وتشرق الأرض بنـــور الإيمـــان والقـــرآن. واستمرارنا في الحوارات العلمية الهادفة والتطبيقات المنهجية سوف يـــؤدي إلـــى إزالة هذه العقبة وغيرها من العقبات من طريـــق القـــرآن. وتعامـــل أصـــحاب التخصصات المختلفة مع "منهجية القرآن المعرفية"سوف يؤدي إلى الكشف عـــن جوانبها العديدة، وإقناع العلماء والباحثين بدقتها وسلامتها، وضـــرورة تفعيلهـــا، والبناء عليها.

(وَاللّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ)

*　　*　　*

خاتمة

وبعد : فهذه قضيَّة " الجمع بين القراءتين". وإن شئتَ أطلقت عليها "نظريّة..." قضيَّة تعرض إليها بإيجاز بعض كبار علمائنا أمثال الحارث المحاســبيّ، وأبـــي طالب المكيّ وإمام الحرمين والفارابيّ والغزالي والرازي وابن حزم والقاضي عبد الجبـــار الهمـــداني. كمـــا تجـــد شـــذرات تنبّـــه إليهـــا فـــي الموســـوعات الأصولية. وتنادى لها الإصلاحيّون في إطار اتجاهات " المقاربات الفكريَّة" للفكر الوافد: الشيخ محمد عبده ومحمد إقبال ومصطفى صبرى وغيرهم. فلم تأخذ حظها من التداول بين أهل العلم لتنضج، وتستوي على سوقها، وتبرز جوانبها. وزاد في وضع الحواجز بين العقل المسلم ، وإبرازها منهاجاً، أو محدداً منهاجياً ما عـــرف "بالإعجاز العلمي" وقد رأيت أن الشقة بين الجمع بين القراءتين والإعجاز العلمـــي بعيدة جداً.

ولعل من أهم معاصرينا الذين تناولوها الأخ محمد أبو القاسم حاج حمد المفكر السوداني يرحمه الله الذي قدمها في إطار فلسفيّ شيِّق، ونحـــن إذ نقـــدمها لأمّـــة القرآن اليوم – بهذه الحلّة مترسّمين خطى من سبقنا فإن لنا كبير الأمل في أننا قد أبرزنا أهميتها في محور "المنهجيَّة القرآنيَّة"، وأظهرنا كونهـــا موضـــوعاً شـــديد الأهمية عظيم الخطر.

وهذه الدراسة على ما بذلنا فيها من جهد نحتسبه عند الله، فإنّها دراسة مختصرة وجيزة استهدفت تنبيه الباحثين من تخصُّصات مختلفة إلى هذا الموضوع المعرفيّ الهام، ليتناول الأكفاء منهم جوانبه المختلفة، وتفاصيله المتعدِّدة، كل من زاوية تخصُّصه واهتمامه. فذلك ما سوف يبلور هذا الموضوع، وينضج قضاياه، ويساعد على تقديمه للباحثين باعتباره محدّداً منهاجيّاً سوف يساعد بعد ذلك إبرازه وإنضاجه على معالجة كثير من الاشكاليات في مجالات معرفيَّة متنوعة: في فلسفة العلوم الطبيعيّة، وفي الدراسات الدينيّة – إن صح التعبير - إضافة إلى المعارف والعلوم الإنسانيَّة والاجتماعيّة. وبعض القضايا الفكريّة. ولذلك فإنّنا نهيب بالباحثين الأكفاء أن يعملوا على إنضاج هذا الموضوع الهام، ويبنوا عليه ليستوى على سوقه إن شاء الله – تعالى – ولو بعد حين. والله ولي التوفيق.

الحلقة الثالثة

الوحدة البنائية للقرآن المجيد

قائمة المراجع

- ابن الأثير، المبارك بن محمد الشيباني

جامع الأصول في أحاديث الرسول/ تحقيق محمود الأرناؤوط، رياض عبد الحميد مراد، محمد أديب الجادر؛ إشراف عبد القادر أرناؤوط. - بيروت: دار ابن الأثير، ١٤١٢هـ/١٩٩١م.

- الإصلاحي، محمد أجمل محمد أيوب

مفردات القرآن للفراهي وأهميته في علم غريب القرآن. - المدينة المنورة: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.

- إقبال، محمد

تجديد الفقه الديني في الإسلام/ تحقيق عباس محمود العقاد، مهدي علام. - ط٢. - القاهرة: لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٦٨م.
٢٢٧ص.

- الألوسي، محمود شكري

روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني/ تصحيح علي عبد الباري عطيه. - بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م.

- إمام الحرمين، عبد الملك بن عبد الله بن يوسف

الغياثي: غياث الأمم في التياث الظلم. - ط٢ . -(د.ن): ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.
٦١١ص.

- البخاري، محمد بن اسماعيل بن ابراهيم

صحيح البخاري/ تحقيق مصطفى ديب. - ط٣ . -دمشق، بيروت: دار ابن كثير، دار اليمامة، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

- البغوي، الحسين بن مسعود بن محمد

تفسير البغوي: معالم التنزيل/ الحسين بن مسعود بن محمد البغوي؛ تحقيق محمد عبد الله النمر، عثمان جمعة ضميرية، سليمان مسلم الحرش. - ط٤ . -الرياض: دار طيبة، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.

- البقاعي، برهان الدين إبراهيم بن عمر بن حسن

نظم الدرر في بيان تناسب الآيات والسور/ تحقيق عبد الرازق غالب المهدي . - بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م.

- البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي

أحكام القرآن للشافعي/ جمع محمد بن زاهد الكوثري؛ تحقيق عبد الغني عبد الخالق . -بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.

-الترمذي، محمد بن عيسى بن سوره

سنن الترمذي، وهو الجامع الصحيح/ تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف، عبد الرحمن محمد عثمان. - ط٢. -بيروت: دار الفكر، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

- ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي بن محمد

زاد المسير في علم التفسير/ تحقيق أحمد شمس الدين . -بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م.

-حاج حمد، محمد أبو القاسم

العالمية الإسلامية الثانية: جدلية الغيب والإنسان والطبيعة. - بيروت: دار ابن حزم، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م.

-الحارث المحاسبي، الحارث بن أسد

الرعاية لحقوق الله/ تحقيق عبد الحليم محمود . -القاهرة: دار المعارف، ١٩٩٠م. ٤٣١ص.

-ابن حزم، عي بن أحمد بن سعيد

المحلى. - بيروت: دار الآفاق الجديدة، (د.ت).

-ابن حنبل، أحمد بن محمد بن هلال

المسند/ تحقيق أحمد محمد شاكر . -القاهرة: دار الحديث، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م.

- الخطيب، محمد عجاج

السنة قبل التدوين . -ط ٤ . -القاهرة: مكتبة وهبة، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م.

-ابن خلاد، الحسن بن عبد الرحمن الرامهرمزي

أمثال الحديث/ تحقيق عبد العلي عبد الحميد . -بومباي: الدار السلفية، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٣م.

٢٧٩ص.

- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن محمد

المقدمة/ تحقيق علي عبد الواحد وافي . -القاهرة: دار نهضة مصر، ٢٠٠٤م.

-الخولي، أمين

التفسير: نشأته، تدرجه، تطوره . -بيروت: دار الكتاب اللبناني، ١٩٨٥م.

١٠٦ص

-الدارمي، عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل

سنن الدارمي/ تحقيق فواز أحمد زمرلي، خالد السبع العلمي . -ط٢ . -بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.

- دروزة، محمد عزة

تاريخ بني اسرئيل من أسفارهم وأحوال وأخلاق ومواقف اليهود وفي عصر النبي صلى الله عليه وسلم وبيئته من القرآن الكريم . -بيروت: المكتبة العصرية، ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م.

٥٥٠ص.

-دروزة، محمد عزة

القرآن والمبشرون . -ط٣. -بيروت، دمشق: المكتب الإسلامي، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.
٤٦٣ص.

- الذهبي، محمد حسين
الاسرائيليات في التفسير والحديث . - ط٣. -القاهرة: مكتبة وهبة، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.
١٧٥ص

- الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر
تفسير الرازي/ تحقيق محمد رضوان الداية . -بيروت: دار الفكر المعاصر، ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م.
٥٩٩ص.

- الرازي، محمد بن عمر بن الحسين
المحصول في علم أصول الفقه/ تحقيق طه جابر العلواني. - الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.

- الرازي، محمد بن عمر بن الحسين
مفاتيح الغيب . -القاهرة: المطبعة العامرة الشرفية، ١٣٢٤هـ.

- الزركشي، محمد بن بهادر بن عبد الله
البرهان في علوم القرآن/ تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم . -ط٢، منقحة. - بيروت: دار المعرفة، ١٣٩١هـ/ ١٩٧٢م.

- السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد
الإتقان في علوم القرآن/ تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم. - بيروت: المكتبة العصرية، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

- الشافعي، محمد بن ادريس بن العباس

الرسالة/ تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر. -القـاهرة: مطبعـة البـابي الحلبـي، ١٣٠٩هـ.
٦٧٠ص.

-صبري، مصطفى
موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعباده المرسلين . -بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م.

-الطباطبائي، السيد محمد حسين
الميزان في تفسير القرآن. -قم: جماعة المدرسين في الحوزة العلمية، ١٤١٧هـ.

- الطبري، محمد بن جرير بن يزيد
تفسير الطبري/ تحقيق بشار عواد معروف، عصام فارس الحرستاني . -بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م.

-الطوسي، محمد بن الحسن بن علي
التبيان في تفسير القرآن/ تقديم أغا بزرك الطهراني. -بيروت: دار إحياء التـراث العربي، (د.ت).

-الطيالسي، سليمان بن داود بن الجارود
مسند أبي داود الطيالسي/ تحقيق محمد بن عبد المحسن التركي . -القاهرة: هجر، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.

-ابن عاشور الطاهر، محمد الطاهر بن محمد بن عبد القادر
تفسير التحرير والتنوير . -تونس: الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤م.
٣٠ج.

-عبد الخالق، عبد الغني
حجية السنة . -بيروت: دار القرآن الكريم، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م
٥٩٨ص.

- ابن العربي، محمد بن علي بن محمد
أحكام القرآن/ تحقيق محمد عبد القادر عطـا. - بيـروت: دار الكتـب العلميـة، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م.
- العواني، رقية طه جابر
أثر العرف في فهم النصوص: قضايا المرأة أنموذجـاً . -دمـشق: دار الفكـر، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.
- العلواني، طه جابر
إشكالية الردة . -القاهرة: دار الشروق الدولية، (د.ت).
- الغزالي، محمد بن محمد بن محمد
إحياء علوم الدين . -دمشق: دار قتيبة، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.
- الفارابي، محمد بن محمد بن طرفان
التنبيه على سبيل السعادة/ تحقيق جعفر آل ياسـين آل سـعود . -بيـروت: دار المناهل، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.
١١١ص.
- الفراهي، عبد الحميد
إمعان في أقسام القرآن . -دمشق: دار القلم، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م.
١٤٧ص.
-فياض، محمد جابر
الأمثال في القرآن الكريم . -بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة، ١٩٨٨م.
٥١١ص.
- ابن قيم الجوزية
إعلام الموقعين عن رب العالمين/ تحقيق محمد المعتصم بالله البغدادي . -بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م.

- ابن قيم الجوزية

بدائع الفوائد/ تصحيح محمد منير الدمشقي . -بيروت: دار الكتاب العربي، (د.ت).

-ابن كثير، اسماعيل بن عمر البصري

تفسير القرآن العظيم/ تحقيق سامي بن محمد السلامة . -ط٢. -الرياض: دار طيبة، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.

-ابن كثير، اسماعيل بن عمر البصري

فضائل القرآن/ تحقيق حجازي بن محمد بن شريف . -القاهرة: مكتبة ابن تيمية، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م.

٣١٢ص.

-الماوردي، علي بن محمد بن حبيب

الأحكام السلطانية والولايات الدينية/ تحقيق عصام فارس الحرستاني، محمد إبراهيم الزغلي . -بيروت: المكتب الإسلامي، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م.

٤٠٦ص.

-محمد عبده، بن حسن خير الله

الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده/ تقديم محمد عمارة . -بيروت: المؤسسة العربية، ١٩٨٠م.

-مسلم بن الحاج بن مسلم

صحيح مسلم بشرح النووي/ تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي . -بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م.

-ناصف، مصطفى

مسؤولية التأويل . -القاهرة: دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م.

-نعناعة، رمزي

بدع التفاسير في الماضي والحاضر . -الرياض: مؤسسة الأنـوار، ١٣٩٠هـ/ ١٩٧١م.

٩٨ص.

-الهيثمي، علي بن أبي بكر بن سليمان

جمع الزوائد ومنبع الفوائد/ تحقيق حسين سليم أسد الداراني . -دمشق: دار المأمون للتراث، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.

٤٧٩ص.

-ابن الوزير، محمد بن إبراهيم بن علي

ترجيح أساليب القرآن على أساليب اليونان . -بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.

١٧٣ص.

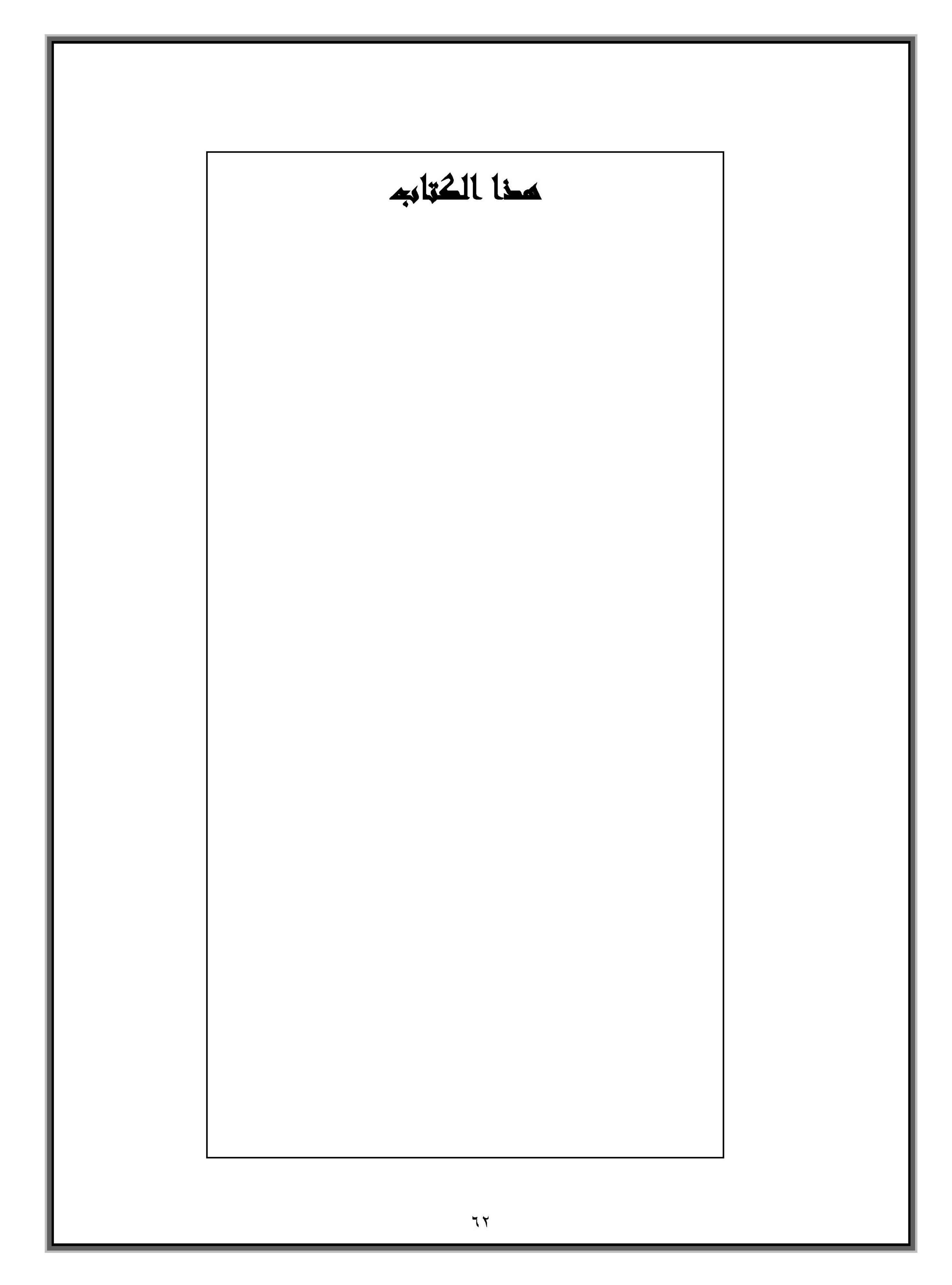
سلسلة دراسات قرآنية

﴿ ٣ ﴾

الوحدة البنائية للقرآن المجيد

طه جابر العلواني

دار الشروق
٢٠٠٥م



هذا الكتاب